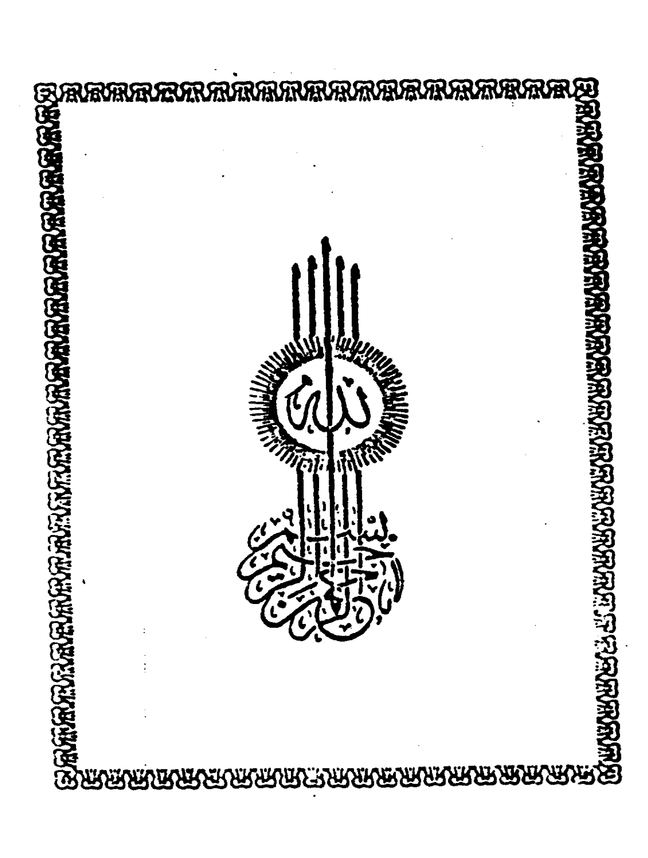
التطرف في الأديان
(١)

التطرف اليهودي

تاريخه ، أسبابه ، علاماته

تأليف
عبد الراضي محمد
مدرس الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان المساعد
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الناشر
مكتبة التوعية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي
ت : ٨٦٨٦٠٠٥ - الهرم


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م

مكتبة التوعية الإسلامية

ناصية شارع محمد عبد الهادي ـ الجوهرة ـ الطالبية ـ الهرم ت ٨٦٨٦٠٥

الإهداء :

إلى ضحايا التطرف في كل مكان ..

عبد الراضي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا شك أن تاريخ الأديان قد عرف الكثير من مواقف المؤمنين أتباع الرسالات السماوية الذين صدقوا في إيمانهم ، واتسعت صدورهم لآراء خصومهم ، وبرئت نفوسهم من أدران الحقد والبغض تجاه من خالفهم .

هذه الظاهرة سجلها تاريخ الأديان ، وأكدها الاستقراء في كل زمان ومكان عبر تاريخ الرسالات ، والدهور المتعاقبة .

فالأصل في الأديان أنها رسالة الحب إلى النزاعين للحقد والبغضاء ، ودعوة السلام إلى التائقين للقتال ، وراغبي إهراق الدماء ونشر الفزع والدمار ، ونداء الرحمة والعفو لمعتنقي القسوة والانتقام .

من هنا كانت شرائع الاضطهاد ومظاهر التطرف التي ترتكب باسم الأديان ، وتهدف إلى إكراه الناس على خلع ربقة عقائدهم وتبديل أديانهم ، وتنحية أفكارهم ، والتخلي عن شعائرهم ، ترجع إلى تزمت الجهال ومتعطشي الدماء من أتباع الديانات ؛ لأن الإيمان الحق لا يتطلب التعصب والتعنت ، ولا يقتضي التزمت إلا عند من علا الصدأ قلوبهم ، فهم صم عمي بكم لا يفقهون ، فقد أظلم الجهل عقولهم ، وذهب بنور الحق والعلم سوء أفهامهم .

فالإيمان الحقيقي إذا خالط بشاشة القلوب ملأها سماحة وصفاء ، وبدل ظلمتها نورًا وغدا أصحابها ملائكة تمشي على الأرض .

ولا يلزم التطرفُ الإيمان إلا في عصور الركود العقلي حيث يذهب الجمود باستتارة العقل ورصانته وملكاته ، وهو أثمن هبات السماء للبشر ، وأعظم خصائصهم ، ومناط التكليف فيهم .

وقضية التطرف الديني أصبحت – اليوم – من أهم ما يشغل بال الغيورين على مستقبل الإنسانية المهدد بنيران التطرف المدمرة ، والتي نتابع على مدار الساعة اصطلاء الكثيرين بها من قِبَل متطرفي الهندوس في الهند ، وعلى يد اليهود في فلسطين

المحتلة ، وما تعانيه الأقليات الإسلامية في مختلف دول العالم المسيحي بدءًا بالفلبين وانتهاء بالدول التي ترفع شعار العالم الحر والدفاع عن حقوق الإنسان كأمريكا وفرنسا وإنجلترا ، والتي تشكلت فيها أحزاب واحتلت وزاراتها رجال لا هدف لديهم سوى مزيد من العنصرية والتصفية لمسلمي تلك الدول .

ويؤكد ذلك أن ظاهرة التطرف الديني ـ حسب التسمية الشائعة في دنيا الإعلام المرئي والمقروء والمسموع ـ ظاهرة لها وجودها القوي على خارطة العالم المعاصر ، مما يجعل محاولة إلصاقها بدين ما تعصب فج ، ومناورات سياسية ، أو أيديولوجية مفضوحة .

وإيمانًا منا بخطورة تلك الظاهرة على مستقبل البشرية أقدمنا على محاولة طرح رؤية علمية لظاهرة التطرف الديني من خلال دراسة جذور تلك الظاهرة في أكبر الديانات السماوية المعروفة (اليهودية والمسيحية والإسلام) .

وتمثل تلك الدراسة محاولة للفهم العلمي والموضوعي الواقعي ؛ لذلك فهي ليست دفاعًا عن أحد أو هجومًا على أحد ، وإنما فكر علمي وجهد يستهدف الكشف عن الحقيقة بصرف النظر عن موقعها ، عدته في ذلك الرصد والتحليل والتسجيل الوثائقي ، عهده الالتزام الصارم بالدقة في التسجيل ، والأمانة في النقل ، والموضوعية في الحكم ، والمنهجية في البحث ، والحيلولة دون الوقوع في أخطاء الكتابات السابقة التي عرضت للبحث في الظاهرة ، واقتصرت على معالجات جزئية هامشية لآثار الظاهرة مختارة ومنتقاة وموجهة وفق أهداف سياسة معينة ، وأهملت البحث في أسباب الظاهرة الحقيقية ، وجذورها التاريخية ، ومظاهرها الدقيقة ، اللهم إلا لمسات خفيفة لا تسمن ولا تغني من جوع .

أضف إلى ذلك أن أصحاب تلك الكتابات يعوزهم التخصص ويفتقرون إلى الموضوعية والإنصاف ؛ لذلك اقتضت الضرورة عملاً يصوب تلك الأخطاء ويصحح مسار المفاهيم والأطروحات التي قدمتها ، ويأخذ بيد القراء إلى شاطىء الحقيقة والصواب .

ويتناول هذا العمل البحث في ما هية التطرف الديني وحقيقته وتاريخه كمصطلح ثم البحث في أسبابه ودوافعه ، وتحديد علاماته ومظاهره ، ثم تتبع ورصد مظاهره في سلسلة من الكتابات نبدأها بالكتاب الذي بين يديك ، ثم نتبعها إن شاء الله بكتاب « التطرف في المسيحية » ، وهو الكتاب الثاني في هذه السلسلة .

ولأن الإسلام ـ دائمًا ـ هو المستهدف بالحملات المغرضة التي تبغي تشويه حقائقه ومقرراته ، وترمي أتباعه ـ الملتزمين بمنهجه اعتقادًا وعملاً ـ بالتطرف والإرهاب ، فقد خصصنا كتابًا مستقلاً لبيان موقف الإسلام من التطرف تختم به هذه السلسلة تاركين للقارىء تحديد المتطرف الحقيقي الذي تدل عليه مظاهر وعلامات التطرف .

عبد الراضي محمد عبد المحسن

٧ شعبان ١٤١١هـ
٢٢ فبراير ١٩٩١م

١ - ما هية التطرف :

في اللغة :

الطرف : بالتسكين هو طرف العين ، وبالتحريك الناحية وطرف كل شيء منتهاه ، ورجل طرف ومتطرف ومستطرف أي لا يثبت على أمر .

وتطرف الشيء صار طرفًا ، ويتطرف : يتباعد ، في حديث عذاب القبر كان لا يتطرف من البول : أي لا يتباعد [١] .

وأصل التطرف في الحسيات ، كالتطرف في الوقوف أو الجلوس أو المشي ، ثم انتقل إلى المعنويات كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك .

وفي الاصطلاح :

التطرف الديني هو مجاوزة الاعتدال في السلوك الديني فكرًا وعملاً ، أو على الأصح هو الخروج عن طريق الجادة والصواب في فهم الدين ، وتلقي شرائعه ، والعمل به .

والتطرف في العمل صنو التطرف في الفهم يخرجان من مشكاة واحدة ، وكلاهما تحد لسماحة الأديان ، وتزيد فيها ، وتطاول عليها ، واتهام لها بالتقصير ، وتنديد بتعاليمها وعريضة اتهام تدمغ الرسل بعدم تبليغ رسالاتهم على الوجه الأكمل ، وتقريع لهم لإبلاغهم كلمة الله منقوصة ، كي يأتي المتطرفون ليكملوا الأديان ويتموها .

تاريخ المصطلح :

والتطرف كمصطلح ليس له جذور في اللغة العربية ، أو شواهد في الاستعمال ، إذ تعبر العربية عن ذلك بألفاظ أخرى منها : الغلو ، التنطع ، التشدد ، وقد جاءت النصوص مؤكدة ذلك :

١ - روى النسائي وابن ماجة في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « إياكم والغلو في الدين ، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين » [٢] .

---

(١) لسان العرب (مادة طرف)

(٢) سنن ابن ماجة : كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي .

والمراد بمن قبلنا أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين نزل فيهم أيضاً قوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٧٧] .

٢ - وروى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « هلك المتنطعون »(١) .

٣ - ورُوي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقول : « لا تشددوا على أنفسكم ، فيشدَّد عليكم ، فإن قوماً شددوا على أنفسهم ، فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات : ﴿ رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ »(٢) .

فالتطرف من بين المصطلحات الحديثة التي تسربت إلى الساحة الفكرية عن طريق الترجمة بواسطة الإعلام العربي نقلاً عن الإعلام الغربي لمحاصرة الصحوة الإسلامية ، وتطور الصراع داخل العالم العربي والإسلامي ضد الاستعمار والهيمنة الغربية والتحالف الشيطاني بين الإمبريالية الأمريكية والغطرسة الصهيونية .

فتلقفه الكتاب والمحللون الصحفيون كنقطة إنطلاق في تفسير الصحوة الإسلامية الجديدة بما يتلاءم والمخططات الاستعمارية والتبشيرية الغربية التي تهدف إلى الحيلولة دون عودة المسلمين إلى دينهم ، ودمغ من يحاول التمسك بالإسلام بتهمة التطرف بما لها من ظلال كئيبة ، حتى أصبحت كلمة التطرف معادلة للإسلام في جوهره كمنهاج حياة .

ومما يؤكد خبث دوافع مروجي هذا المصطلح ، أن الأجهزة الاستعمارية الغربية المشرفة على توجيه الإعلام ، ووضع الصيغ والمصطلحات النفسية والاجتماعية الملائمة لمخططاتها ، والتي أطلقت مصطلح « التطرف الديني » قد عدلت عن استخدام إحدى الكلمات التالية وكلها بمعنى التطرف :

Extremism, Extravagance, Excess(Iveness), Immoderation, Internperateness, Going to Extremes.

---

(١) صحيح مسلم : كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الأدب ، باب في الحسد .

واستخدمت بدلاً عنها (Fundamentalism) والتي تعني العودة إلى ظلمات العصور الوسطى النصرانية حيث نصوص الكتاب المقدس الجامدة ، وعصمة الباباوات ، وإرهاب الكنيسة الذي مارسته باسم الدين قروناً طويلة .

فهذه الكلمة اسم للطائفة الداعية إلى التمسك بالأصول النصرانية في عصور الظلام ، والتي لم تتحقق النهضة الأوربية إلا على أشلائها (١) .

وهذا هو الفارق بين العودة إلى الأصول الإسلامية التي تعني الحضارة الإسلامية الزاهرة وريادتها في قيادة العالم والمدنية ، وبين العودة إلى الأصول النصرانية التي تعني الظلام والجمود والجهل وسيطرة رجال الكهنوت المسيحي على مقدرات البشر .

لكن الإعلام نجح في إسقاط مضمون الكلمة بما يعنيه من ظلال وإيحاءات على التيارات والحركات الإسلامية الممثّلة للصحوة المعاصرة الرامية إلى التمسك بجوهر الإسلام ، والداعية إلى تطبيقه كمنهاج حياة ، والرافضة لمحاولات الهيمنة والسيطرة الاستعمارية على مقدرات المسلمين سواء أكانت هيمنة صهيونية أو مسيحية غربية .

وذلك – بالطبع – دون إبراز الفارق الجوهري بين العودة إلى نور الهداية والحضارة الإسلامية الزاهرة ، والعودة إلى ظلمات الإيمان والجهل الذي لازم المسيحية في عصورها الوسطى .

أسبابه وبواعثه :

أسباب هذا التطرف التي ولدت مسبباته ، ومقدماته التي أثمرت نتائجه وبذوره التي أنبتت ثماره ، ليست واحدة بل متعددة .

فالظاهرة التي بين أيدينا ظاهرة مركبة ، معقدة ، وبواعيها كثيرة ، ومتنوعة ، متداخلة ومتشابكة الأطراف ، بعضها قريب ، وبعضها بعيد ، بعضها مباشر ، وبعضها غير مباشر ، منها ما هو ديني ، وما هو فكري ، منها ما هو سياسي ، وما هو اجتماعي ، وما هو خليط من هذا كله أو بعضه .

---

(١) راجع في معنى المصطلح قاموس المورد ، ص ٣٧٣ ، ط ١٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م .

فهناك من أرجع نشأة التطرف الديني إلى فراغ في النفس أو التيات في الفكر ، أو فعل لتطرف آخر ينتقص من نفوذ الدين ، أو انتمار خبيث تقوده قوى غامضة لتقويض الدين وهدمه [1] .

وأضاف آخرون إلى تلك الأسباب ضعف البصيرة ، والتباس المفاهيم ، وضعف المعرفة بالتاريخ ، والواقع ، وسنن الكون والحياة ، وكذلك الاتجاه الظاهري في فهم الدين وتلقي شرائعه وتفسير معطياته وحقائقه [2] .

ونضيف إلى ما سبق سببًا يعد أعظم أسباب التطرف الديني في بني إسرائيل ، وهو الجهل بتعاليم الأديان وحقيقتها ، وقلة البضاعة في فقهها ، والتعمق في معرفة أسرارها والوصول إلى فهم مقاصدها ، واستشفاف روحها .

فعلى الرغم مثلاً من أن المسيح ـ عليه السلام ـ كان غالب أمره اللين والرحمة ، والتسامح ، والعفو ، والصفح ، والدعوة إلى السلام ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ فإن الداعين إلى التطرف وإراقة الدماء كالقديس « أوغسطين » لم يجدوا تبريرًا لهم إلا في آيات غلطوا في فهمها كقول المسيح : « أجبروهم على اعتناق دينكم Compelleintrare » أو « لا تظنوا أني جئت لألقى سلامًا على الأرض ، ما جئت لألقى سلامًا بل سيفًا ، فإني جئت لأفرق الإنسان من أبيه ، والابنة من أمها والزوجة من حماتها ، وأعداء الإنسان من أهل بيته » [3] .

وفي ذلك من أتباع المتشابه من النصوص وترك المحكمات البينات ، مما لا يصدر عن راسخ في العلم ، ورببيب نظر وثاقب فكر في دراسة العقائد فإن هذه المتشابهات قد بينتها آيات محكمات في الإنجيل وما قبله ، كما يقول ابن تيمية رحمه الله [4] .

والحقيقة أن سببًا واحدًا منفردًا مما سلف لا يقوم وراء الظاهر ، وتزكيتها ، وبعث الحياة إليها ، ونفخ الروح فيها ، ودعمها بالمد الذي يدفعها دومًا إلى سطح الحياة وقمة المواجهة .

---

(١) كتاب العربي (١٤) ص ٥١ .

(٢) د. يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية ، ص ٦٢ .

(٣) إنجيل متى (١٠/٣٤ – ٣٧) .

(٤) ابن تيمية : الرسالة القبرصية ، ص ٢٢ .

بل مجموع تلك الأسباب الدينية ، والفكرية ، والسياسية ، والاجتماعية ، وما اختلط منها ، تعمل بأقدار متفاوتة ، متباينة ، مخلفة وراءها آثاراً تتفاوت فاعليتها من وضع لآخر إلا أن للجميع في النهاية أثراً لا ينكر .

٢ - مظاهره وعلاماته :

دلائل التطرف الديني كثيرة ، كأسبابه ، بيد أنه يمكن تلخيصها فيما يلي (١) :

١ - التعصب للرأي تعصباً لا يعترف معه للآخرين بوجود ، والجمود في الفهم جموداً لا يسمح بالرؤية الواضحة لمصالح الخلق ، ولا مقاصد الشرائع ، ولا يفتح النوافذ للحوار مع الآخرين وموازنة الآراء ومقابلة الأفكار ، والأخذ بما يرجح ميزانه ، وينصع برهانه ، وترتفع أدلته .

٢ - التزام التشديد دائماً مع قيام موجبات التيسير ، وإلزام الآخرين بذلك التشديد مع أن الشرائع الإلهية لم تلزم الخلق بالأشد من الأمور ، ويزيد التشدد قبحاً أن يكون في غير محله وموضعه ، وفي غير زمانه ومكانه ، أو في الجزئيات لا في الكليات ، والفروع قبل الأصول .

٣ - العنف في التعامل ، والخشونة في الأسلوب ، والغلظة في الدعوة ، خلافاً لهدى الله تعالى ، ومنهج رسله ، الذين دعوا إلى الله بالحكمة لا بالحماقة ، وبالموعظة الحسنة لا بالعبارة الخشنة ، وجادلوا بالتي هي أحسن ، لا بالتي هي أخشن . قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل : ١٢٥] .

فهذان رسولا الله موسى وهارون يذهبان إلى فرعون ليدعواه إلى الله بالحكمة والحسنى يقولا له قولاً ليناً .

وهذا المسيح ابن مريم رسول الله يقول : « من يقل لأخيه يا راقا يستوجب حكم الشورى ، ومن يقل له يا أحمق يستوجب نار جهنم » (٢) . فما دخل الرفق في شيء إلا زانه ، وما دخل العنف في شيء إلا شانه ، والأمر بالمعروف في الأديان يجب أن يكون بالمعروف .

---

(١) د. يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية ، ص ٦٢ وما بعدها ، كتاب العربي (١٤) ، ص ٦٠ .
(٢) إنجيل متى (٥/٢٢ - ٢٣) .

٤ ـ إدانة الخصوم واتهامهم ، وسوء الظن بهم دائمًا ، فجميع أعمالهم سيئات وليسوا من أصحاب الحسنات ، وأصل هذا كله يرجع إلى الغرور بالنفس ، والازدراء للغير ، ومن هنا كانت أول معصية لله في العالم ، وهي معصية إبليس .

٥ ـ تكفير الخصوم ، وإباحة دمائهم ، واستباحة أموالهم ، وأعراضهم ، وإسقاط عصمتهم فلا حرمة لهم ولا ذمة ، ولا يرعى في حقوقهم ضمير أو مبدأ .

هذه بعض المعالم البارزة والدلائل الواضحة للتطرف الديني . غير أن هناك سمة تميز بها التطرف الديني في بني إسرائيل حتى صارت أخص خصائصه وأبرز علاماته ، وهو الغلو ، ذلك الذي نهاهم القرآن عنه . قال تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا ، وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٧٧] . فقد وقفوا في طرفي نقيض ، هؤلاء في طرف ، وهؤلاء في طرف يقابله . وذلك في التوحيد ، والأنبياء ، والشرائع ، والحلال والحرام ، والأخلاق ، وغير ذلك .

فاليهودية تشبه الخالق بالمخلوق في صفات النقص المختصة بالمخلوق التي يجب تنزيه الرب سبحانه عنها ، كقول من قال منهم : إنه فقير ، وإنه تعب لما خلق السموات والأرض .

والنصرانية تشبه المخلوق بالخالق في صفات الكمال المختصة بالخالق ، التي ليس له فيها مثل ، كقولهم : إن المسيح هو الله ، وابن الله ، وكل من القولين يستلزم الآخر ، ثم اشتط اليهود فعبدوا العجل والأبقار والأصنام من دون الله .

واليهود كذبوا الأنبياء ، وطاردوهم ، وقتلوهم بغير حق ، وغلا النصارى في المسيح وأمه ، ووضعوهما في مرتبة فوق البشرية ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ، والمسيح ابن مريم . وفي الطهارة بالغ اليهود في اجتناب النجاسات ، وتحريم الطيبات ، وأسقط النصارى الواجب منها كالختان ، والطهارة من الغسل ، وغير ذلك .

وسنعرض لمظاهر التطرف اليهودي في المجالات الرئيسية التالية :

١ ـ الألوهية .

٢ ـ الأنبياء .

٣ ـ الموقف من الأديان المخالفة .

وهي التي تعد أصول الدين وتعتبر المخالفات فيها خروجًا واضحًا عن مقررات الشرائع وتعاليم الأديان .

أولا: التطرف اليهودي في الألوهية

خلق الله – عز وجل – الخلق لعبادته، والإنابة إليه ومحبته، والإخلاص له وطاعته، فبذكره تطمئن قلوبهم، وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم، وجعل – سبحانه – حاجتهم إلى عبادته وتأليههم إياه كحاجتهم إلى خلقه لهم وربوبيته إياهم.

فتوحيد الألوهية والإقرار بالربوبية هما الغاية المقصودة للعباد، وبها يصيرون عاملين متحركين.

فلا صلاح لهم ولا فلاح ولا نعيم ولا لذة بدون ذلك بحال، بل من أعرض عن ذكر ربه فإن له معيشة ضنكا، ويحشره يوم القيامة أعمى؛ لهذا فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء؛ ولذلك كانت «لا إله إلا الله» أحسن الحسنات، وكان التوحيد بقول: «لا إله إلا الله» أفضل الأعمال ورأس الأمر وذروة سنامه.

ولما كان حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا (1)، فقد جعل المولى – عز وجل – توحيده وإفراده بالعبودية المطلقة مطلب الأنبياء الأعظم إلى من بعثوا فيهم، وقطب رحى دعواتهم إلى أقوامهم يقول تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولاشك أن عقيدة التوحيد المبرأ من الأباطيل والأوهام والخضوع لأي كائن من الكائنات والظن بأن هناك قوى أخرى تنفع إلا بإذن الله فوق أنها رسالة الرسل ودعوة الكتب السماوية، لاشك أنها تحقق الخلاص التام والملاذ الوحيد للفارين من الحيرة الوجدانية والشتات الذهني والخلط العقلي والاضطراب الشعوري (2).

---

(1) كما في الحديث الذي أخرجه الشيخان عن معاذ رضي الله عنه، قال: «كنت رديف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير، فقال: يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا».
البخاري: كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار.
مسلم: كتاب الإيمان، باب أول الإيمان قول لا إليه إلا الله.

(2) الدكتور كمال جعفر، الدين المقارن، ص ٨٧.

يصور القرآن هذه الحقيقة عندما يقارن بين حالتي عبدين أحدهما مملوك « لشركاء متشاكسين » والآخر مملوك لرجل واحد ، قال تعالى : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآنًا عربيًا غير ذي عوج لعلهم يتقون ، ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلما لرجل . هل يستويان مثلاً ؟ الحمد لله . بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ [الزمر : ٢٧ - ٢٩] .

فكما لا يستوي هذا وهذا . كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له . قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد من المفسرين : لما كان هذا المثل ظاهرًا بيّنا جليًا قال تبارك وتعالى : الحمد لله على إقامة الحجة عليهم [1] .

وقد أرسل الله - تبارك وتعالى - موسى عليه السلام إلى اليهود كما أرسل غيره من الأنبياء بدعوة التوحيد وعبادة الإله الواحد ونبذ ما دونه من الشركاء ، وتتوافر النصوص من الكتب السماوية على تلقي موسى وتبليغه رسالة التوحيد إلى اليهود .

فيصور القرآن بدء الوحي إلى موسى برسالته إذ ناداه ربه بالوادي المقدس : ﴿ يا موسى ! إني أنا ربك فاخلع نعليك ، إنك بالوادي المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى : إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري . إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ [طه : ١١ - ١٦] .

تلقى موسى - عليه السلام - رسالة التوحيد ، فأبلغ اليهود : ﴿ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو . وسع كل شيء علما ﴾ [طه : ٩٨] .

ويذكر الكتاب المقدس في الإصحاحات من (التاسع عشر إلى الحادي والثلاثين) من سفر الخروج : تجليات الرب لموسى في جبل سيناء وبعضها على مرأي ومسمع من بني إسرائيل ، وما ألقى إليه الرب من وصايا وتشريعات دينية وتعبدية وخلقية ومدنية وأسرية من جملتها :

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٢) .

التوحيد المطلق وعبادة الله وحده ، والحظر البات لعبادة أي شيء غيره بأي شكل ، وعدم السجود لأي صورة مصورة أو منحوتة ، وعدم الحلف بالله باطلاً ، وتحريم العمل في السبت ، وتكريم الوالدين ، والنهي عن السرقة والقتل والزنا وشهادة الزور (١) .

فيقول الإصحاح التاسع والعشرون من سفر الخروج بعد دعوة الله لموسى بالصعود إلى الجبل ليتلقى ما هو معطيه إياه : (ثم تكلم الرب في جميع هذه الكلمات قائلاً : أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن آلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالاً ، لا منحوتًا ولا صورة مما في السماء من فوق وما في فوق من تحت وما في الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ ، وأصنع إحسانًا إلى ألوف من محبيّ وحافظي وصاياي ، لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً ، لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلاً ، اذكر يوم السبت لتقدسه) (٢) .

ونستطيع أن نرى من خلال نص هذه الوصايا أن عقيدة التوحيد التي حملها موسى إلى اليهود عقيدة خالصة مبرأة من أي وهم بالخضوع لكائنات أخرى سواء في مجال الاعتقاد أو العبادة ، فهو توحيد صارم سواء أكان توحيد ألوهية ، أم توحيد ربوبية .

ويحكي الكتاب المقدس أن موسى - عليه السلام - لما عاد من مناجاة ربه قص على الشعب اليهودي جميع كلام الرب ، وجميع الأحكام التي أمروا بتطبيقها والسير على منوالها ، فأجابه اليهود بصوت واحد : (جميع ما تكلم به الرب نعمل به ، فكتب موسى عليه السلام - جميع كلام الرب ، وبنى مذبحًا وذبح ذبائح سلامة ، ثم تلا كتاب العهد على مسامع الشعب ، فقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعله ونأتمر به ، فأخذ موسى الدم ورشه على الشعب قائلاً : هو ذا دم العهد الذي عاهدكم الرب به على صحيح هذه الأقوال) (٣) .

وتعتبر رسالة موسى - عليه السلام - نقطة ارتكاز في مفرق طريق الهداية ، إذ عندها تجمعت دعوة التوحيد ؛ لتتخلص من شكلها المتعارف عليه منذ بدء الوحي ، وهو

---

(١) سفر الخروج (من الإصحاح ١٩ - ٣١) .
(٢) سفر الخروج (٢٠/١ - ٨) .
(٣) سفر الخروج (٢٤/٤ - ٨) .

الرسالة السماوية المبلغة مشافهة إلى الناس ، وتأخذ شكلاً جديداً لم يكن للبشرية عهد به من قبل ، وهو الرسالة الكبرى لدين سماوي له كتاب معروف نزل من السماء في ألواح مكتوبة . قال تعالى : ﴿ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء ﴾ [الأعراف : ١٤٥] .

فهل كانت الوحدانية – على الرغم من كل ذلك – عميقة الجذور في نفوس بني إسرائيل ؟

أم كانت المادية والتطلع إلى أسلوب نفعي في الحياة الدنيا أكثر تأصلاً في حياتهم ؟ وهل استطاع اليهود أن يستقروا على عبادة الله الواحد ؟

[اضطراب مفهوم الألوهية ونبذ عقيدة التوحيد]

تجيب مصادر الدين اليهودي التي بين أيدينا : التوراة ، كتب الأنبياء ، التلمود ، بالنفي القاطع .

إذ لا يعثر الدارس لهذه المصادر على ما يدل على أن عقيد اليهود في الألوهية تقوم على التوحيد وتنزيه رب العالمين عن البشر ومخالفة الحوادث ، بل يتأكد له بالبرهان القاطع والحجة الدامغة أن عقيدة اليهود الدينية في الإله تصادم عقيدة التوحيد ، التي دعاهم موسى – عليه السلام – إليها .

وأن اليهود لم يعرفوا معنى التنزيه الحقيقي للإله الخالق ، وبالتالي لم يعرفوا التوحيد الخالص على الرغم من تواتر الأنبياء والرسالات الإلهية فيهم [1] .

فيجمع الباحثون في تاريخ الأديان والمقابلة بينها على أن التطرف اليهودي في الألوهية قد مر بمرحلتين :

١ – ما قبل بناء الهيكل .

٢ – ما بعد بناء الهيكل .

في الأولى عبد اليهود العجل والحية المقدسة واختلفت فيها بدائيتهم ما بين عبادة الأرواح والأحجار وبين عدم الاستقرار على عبادة إله واحد ، أما حين بُني الهيكل وتمت

---

(١) د. صابر طعيمة ، التراث الإسرائيلي ، ص ٣٦٣ .

الوحدة السياسية لليهود أيام داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ فقد تمركزت العبادة في الهيكل ، وأصبح « يهوه » هو الإله الأوحد الذي يفوق في المكانة كل آلهة البشر .

وتمثل المرحلة الأولى مرحلة الردة الكاملة عن عقيدة التوحيد وعبادة الإله الخالق الذي أمر موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ بعبادته وهذه الردة عنيفة ؛ لأنها أعادت اليهود إلى الوثنية والشرك المحض وعبادة الأصنام والحيوانات .

وتمثل المرحلة الثانية مرحلة التجسيم والتشبيه في تاريخ اليهود الديني ، لما خلعوه على الإله « يهوه » من صفات جسدية .

[ما قبل بناء الهيكل]

خرج موسى ببني إسرائيل من مصر ، وأنجاهم الله من فرعون وجنده ، وما أن شعروا بالراحة وأحسوا برد الحرية ونسائم الخلاص حتى زاغ منهم العقل وتمردت العاطفة ، إذ رأوا قومًا يعكفون على عبادة الأصنام فطلبوا من موسى ـ عليه السلام ـ أن يجعل لهم آلهة كما لهؤلاء ؛ كي يعبدوها ويقدسوها ويقدموا إليها قرابينهم ، فاندهش موسى لطلبهم الغريب وعنفهم عليه وأمرهم بالتوبة وذكرهم بأنعم الله عليهم . قال تعالى : ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة . قال : إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، قال : أغير الله أبغيكم إلهًا وهو فضلكم على العالمين ﴾ [الأعراف : ١٣٨ - ١٤٠] .

ويبدو أن ذلك التمرد اليهودي كان إرهاصًا ببداية التطرف والردة الكبرى لليهود عن عقيد التوحيد ، فلم يكد حبر وصايا الرب إلى اليهود يجف حتى بادروا إلى نقضها ، وكان هذا ديدنهم طوال تاريخهم إذ أعلنوا التذمر من إبطاء موسى بالنزول من الجبل ، ودفعتهم طبائعهم الخبيثة إلى أن يتساءلوا :

من يكون ذلك الإله الذي أنقذهم من ربقة الأسر ؟ وخرج بهم من أرض عبوديتهم ؟ وشق لهم البحر ؟ واختار موسى ليحمل إليهم رسالته المقدسة ؟ ما طبيعته ؟ ما كنهه ؟ أهو من جنس آلهتهم القديمة التي كانوا يعبدون ؟ أم إله أهم صفاته « المادية » التي يهوون ؟

وما لبثت عدوى هذا الشك أن سرت في اليهود ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن كنه الذات القادرة .

وقد وجدها السامري فرصة ذهبية لاحت أمامه ليحول قبلة بني إسرائيل إليه ، وتكون الرياسة والزعامة والمرجع والمنتهى إليه فيهم ، فسألهم أن يجمعوا له حليهم الذهبية فلما جمعوها ألقى بها في النار ، ثم صنع منها تمثالاً لعجل كبير جعل فيه فتحات يمر منها الهواء فيحدث صوتًا كصوت الخوار ، وقال للسائلين عن الإله من اليهود : ﴿ هذا إلهكم وإله موسى فنسى ﴾ [طه : ٨٨] . قال ابن عباس : أي ضل وأخطأ موسى الطريق إليه [١] ؟

ومن ثمَّ فقد : ﴿ اتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسدًا له خوار ﴾ (الأعراف : ١٤٨] .

اتخذوه وهم ظالمون لأنفسهم ، ولقد : ﴿ أضلهم السامري ﴾ [طه : ٨٥] ، وأقبل الشعب اليهودي على العجل يعبدونه ، ويقدمون له القرابين والذبائح ، ويرقصون أمامه عرايا ، ويرون فيه إلههم الذي نسيه موسى فذهب إلى إله آخر [٢] .

رأى هارون ـ عليه السلام ـ ما فعل السامري بالقوم وقد أطاعوه فراح يدعوهم إلى نبذ عبادة العجل والعودة إلى طريق التوحيد طريق الأنبياء والمرسلين ، وناداهم : ﴿ يا قوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري ﴾ . [طه : ٩٠]

ولم تجد دعوته صداها لدى اليهود ، بل ذهبت أدراج الرياح أمام عنادهم ومكابرتهم ، فقد أجابوه : ﴿ لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ . [طه : ٩١]

وأصروا على إشراكهم وأحبوا ذلك ورضوه ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ [البقرة : ٩٣] . أي أشربوا حبه والرضا على ذلك حتى خلص إلى قلوبهم [٣] .

---

(١) ابن كثير (١/١٦٢) .
(٢) تقرر التوراة قصة العجل في سفر الخروج (٢٢/١٧ - ٢٦) .
(٣) تفسير ابن كثير (١/١٢٦) .

ترى لماذا انحطت أفكارهم بهذه السرعة ؟ ولِمَ هوت عقليتهم إلى هذا المنحدر كيف نسوا الله الخالق الذي أنقذهم من فرعون وجنوده وأنزل عليهم المن والسلوى ، وأظلهم بالغمام ، وفجر لهم من الحجر اثنتى عشرة عينًا ؟

هل شكوا في عودة موسى إليهم بعد غيبة امتدت أربعين يومًا ؟ وهل غيبة موسى سبب كاف لعودتهم بعقولهم وقلوبهم إلى عقائدهم الأولى ؟ أم أن السامري وجدها فرصة لفتنتهم ونيل الزعامة فيهم ؟ أم أن عبادة الأسلاف طبيعة فيهم ؟ فلذلك عبدوا العجل كما عبدوا الأوثان والكواكب من قبل ؟

إن المرء لتأخذه الدهشة ، ويتملكه العجب ، أمام تلك الردة السريعة لليهود عن عقيدة التوحيد وعبادة الإله الخالق ، وفي سبيل ماذا ؟ في سبيل عبادة عجل أصم جامد لا ينطق لا حول له ولا قوة صنعوه بأيديهم : ﴿ ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا . اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ [الأعراف : ١٤٨] .

يقول ابن القيم رحمه الله : « ومن عجيب أمرهم : أنهم لم يكتفوا بكونه إلههم حتى جعلوه إله موسى ، فنسبوا موسى – عليه السلام – إلى الشرك وعبادة غير الله تعالى ، بل عبادة أبلد الحيوانات وأقلها دفعًا عن نفسه ، بحيث يضرب به المثل في البلادة والذل ، فجعلوه إله كليم الرحمن ، ثم لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا موسى – عليه السلام – ضالاً مخطئًا »(1) .

ولما رجع موسى من ميقات ربه ورأى ما فعل السامري باليهود ، أخذه الغضب أسفًا على فعلهم ، فعنف أخاه هارون آخذًا بلحيته ورأسه قائلاً له : ﴿ يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني ؟ أفعصيت أمري ؟ ﴾ [طه : ٩٢ – ٩٣] .

أجاب هارون – عليه السلام – بأن طبيعة اليهود الخبيثة هي التي منعتهم من الانقياد له وطاعة أوامره ، بل إنهم هموا بقتله والفتك به : ﴿ قال : ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ، فلا تشمت بي الأعداء ، ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ [الأعراف : ١٥٠] .

---

(1) ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/٣٠٠) .

فما كان جزاء اليهود إلا أن يقتلوا أنفسهم بأيديهم ، فالدم أقل ما يطهر به إثمهم العظيم الذي وقعوا فيه . قال تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾ [البقرة : ٥٤].

وقال تعالى : ﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا ، وكذلك نجزي المفترين ﴾ [الأعراف : ١٥٢] .

وما كان من موسى إلا أن طرد السامري محطمًا إلهه . قال تعالى : ﴿ فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدًا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفًا ، لنحرقنّه ، ثم لننسفنّه في اليم نسفًا ، إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو ، وسع كل شيء علمًا ﴾ [طه : ٩٧ - ٩٨] .

ويثور سؤال : هل خمدت بؤرة التطرف اليهودي في قضية التوحيد واندثرت عبادة العجل من تاريخ اليهود بطرد السامري وتدمير موسى – عليه السلام – لعجلهم الذهبي ؟

تجيب نصوص توراتهم المقدسة بالنفي القاطع .

إذ إن اليهود قد أشربوا حب العجل في قلوبهم كما أخبر الله – تبارك وتعالى – بذلك ، وأنها قد أصبحت أميز طبائعهم وأبين عاداتهم ، فبقيت تتجدد في حياتهم من حين لآخر :

فتحكي التوراة : أن « يربعام بن سليمان » عمل عجلين من ذهب ، وضع أحدهما في بيت « إيل » وثانيهما في « دان » وبنى عندهما مذابح وقال لشعبه : هذه آلهتكم التي أصعدتكم من مصر ، فاذبحوا وعيدوا عندها ، ولا تصعدوا إلى أورشليم . فاستجاب له الشعب [1] .

ويعلل « ول ديورانت » ذلك بأن اليهود لم يتخلوا عن عبادة العجل ؛ لأن عبادة العجول كانت ولاتزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر ، وظلوا زمنًا طويلاً يتخذون هذا الحيوان القوي آكل العشب رمزًا لإلههم [2] .

---

(١) سفر الملوك الأول (١٢/٢٨ - ٢) .

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة (٢/٣٣٨) .

ولم تقتصر ردة اليهود وتطرفهم في عقيدة التوحيد على عبادة العجل ، بل عبدوا : الكبش ، والحمل ، والحية ، والأبقار ، والأوثان ، وإله الكنعانيين (بعل ، عشتروت) .

فجاء في سفر الملوك الثاني : أن موسى عمل حية من نحاس ، وأن بني إسرائيل عبدوها بعد ذلك ، فالحية تعتبر عندهم حيوانًا مقدسًا ، وهي رمز الحكمة والدهاء والانسياب لقدرتها على ثني أطرافها [1] .

وجاء في سفر القضاة أن رجلاً اسمه « ميخا » صنع تمثالين من فضة أحدهما منقوش والآخر مسبوك ، جعلها في غرفة منعزلة أسماها بيت الآلهة وزخرفها بنقوش وزخارف طقسية من نوع زخارف خيمة المعبد ، وجاءه فتى من اللاويين طارقًا البيت فاستضافه « ميخا » ولما علم أنه لاويّ عرض عليه أن يبقى عنده ؛ ليكون كاهنًا لبيت آلهته فقبل [2] .

وقد عبد أهاب ملك إسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد [3] . وبعد موسى ، وفي عهد القضاة تأثر اليهود بمعبودات الكنعانيين تأثرًا كبيرًا ، ويوضح « شارلز كنت » في كتابه « تاريخ اليهود » أن إله الكنعانين « بعل » أصبح معبودًا لبني إسرائيل في كثير من قراهم ، وفي أحوال كثيرة أصبح للطائفتين معبد واحد به تمثال « يهوه » وتمثال « بعل » بل أصبح « يهوه » ينادى « بعل » ، وقد ظل ذلك إلى عهد يوشع [4] .

وقبيل عهد الملك يوشيا كان الهيكل مملوءًا بالمعبودات والأصنام التي تمثل : بعل ، مولك ، الشمس ، القمر ، جنود السماء ، وكان الشعب يسجد لها وقد قام هذا الملك بكثير من الإصلاحات فدمر هذه المذابح وأخرج هذه الآلهة من الهيكل [5] .

وظلت جماعات كبيرة من اليهود تسجد للحجارة المقدسة ، أو تعبد « بعل » و« عشتروت » ، أو تتنبأ بالغيب على الطريقة البابلية ، أو تقيم الأنصاب وتحرق لها البخور ، أو تركع أمام الحية النحاسية أو العجل الذهبي أو تملأ الهيكل بضجيج الحفلات الوثنية [6] .

---

(١) سفر الملوك الثاني (١٨/٤) .
(٢) سفر القضاة (١٧/٣ - ١٣) .
(٣) ول ديورانت ، قصة الحضارة (٢/٢٣٨) .
(٤) نقلاً عن أحمد شلبي ، اليهودية ، ص ١٧٤ .
(٥) السابق ، ص ١٨٨ .
(٦) ول ديورانت ، قصة الحضارة (٢/٣٤٦) .

[ما بعد بناء الهيكل]

استقرت الوحدة السياسية لليهود باتخاذ داود ـ عليه السلام ـ أورشليم عاصمة له، ثم خلفه سليمان ـ عليه السلام ـ فبنى الهيكل بها كما يزعم اليهود ، وكانا ـ عليهما السلام ـ على الولاء التام لعقيدة التوحيد كما قرر ذلك القرآن الكريم ، لكن اليهود خلطوا هذه العقيدة النقية بأباطيلهم والخرافات التي اقتبسوها من جيرانهم ، إذ جاوروا أممًا متمدينة لم يقتبسوا منها سوى أخس ما في حضاراتها من عادات وعيوب وعارات وخرافات (1) .

وفي هذه المرحلة من مراحل التطرف اليهودي في الألوهية عبد اليهود « يهوه » الإله الذي يختلف عن كل آلهة البشر ، فلم يكن هو الإله الخالق الواحد الأحد مدبر الأمر ومحرك الكون وفاطر السماء والأرض الذي دعا موسى اليهود إلى عبادته .

إذ خلعوا عليه من الصفات ما يجعله صدى لسماتهم وتطلعاتهم، يقول «ول ديورانت»: « يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة « كنعان » فصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها ، وجعلوا منه إلهًا ، يؤيد هذا أن من بين الآثار التي وجدت في كنعان سنة ١٩٣١م قطعًا من الخزف من بقايا عصر البرونز ٣٠٠٠ ق . م ، عليها اسم كنعاني يسمى « ياه » أو « ياهو » (2) .

واختلف الباحثون حول اشتقاق اسم « يهوه » معبود اليهود وإلههم فقد أرجع العقاد اسم « يهوه » إما إلى أن يكون مشتقًا من مادة الحياة ، أو إلى أنه نداء الضمير الغائب أي « ياهو » لأن موسى علم بني إسرائيل اتقاء ذكر اسمه توقيرًا له ، والاكتفاء بالإشارة إليه (3) .

ولا يجد الاحتمال الثاني سندًا حقيقيًا ؛ لأنه يفترض أن تكون الكلمة عربية ، ومن المستبعد أن يستعمل اليهود في هذه المرحلة الباكرة من تاريخهم كلمة عربية تدل على أخص خصائص دينهم وهو الإله المعبود (4) .

---

(١) د. أحمد شلبي ، اليهودية ، ص ١٨٥ .

(٢) نقلاً عن د. أحمد شلبي ، اليهودية ، ص ١٨٠ .

(٣) العقاد ، الله ، ص ١٠٨ .

(٤) د. كمال جعفر ، الدين المقارن ، ص ١٨٦ .

وهناك اتجاه آخر بين الباحثين أن تكون الكلمة عبرانية ومعناها السيد أو الإله [١] .

أما صفات «يهوه» التي خلعوها عليه فأول ما ترصده العين منها هو وضعها للإله في قالب بشري محض ، فالتجسيم أخص خصائها ، والتشبيه بالبشر أبرز معالمها ، وأمر ثان لا تخطئه العين هو اضطراب الفكرة التي يرسمها اليهود للإله وتناقضها ، مما دفع ابن حزم إلى القطع ببطلان التوراة التي بأيديهم وتحريفها وأنها ليست من عند الله [٢] .

فمن الأوصاف الحسية ليهوه :

١ ـ أنه كان يسير أمام اليهود في عمود سحاب ليهديهم في الطريق نهارًا ، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم [٣] .

وفي سفر القضاة يصور اليهود الرب حالاً في مكان وهذا المكان موقع بركاني فيه نار ولهيب يأوى إليه رب اليهود أحيانًا وحين يخرج منه ترتعد الأرض وتنفطر السماء . يقول الإصحاح الخامس ناقلاً نص ترنيمة تعبدية : « اسمعوا أيها الملوك واصغوا أيها العظماء أنا الرب أترنم ، أزمر ، للرب إله إسرائيل ، يا رب بخروجك من سعير ، بصعودك من صحراء أدوم ، الأرض ارتعدت ، السموات أيضًا فترت ، كذلك السحب قطرت ماء ، تزلزلت الجبال من وجه الرب وسيناء هذا من وجه الرب إله إسرائيل » [٤] .

ويعلل الباحثون لظهور الإله على يد اليهود في هذه الصورة بأن ذلك راجع لخروج اليهود من مصر وقد صحبتهم بعض الخوارق الطبيعية التي كانت ذات صبغة بركانية ، فالمظهر الغريب الذي يظهر به « يهوه » في صورة عامود نار أو عامود من دخان ، ثم تجليه فوق سيناء نهارًا محدثًا الرعد والبرق والسحاب الكثيف ، هو بالبداهة ظواهر بركانية حسبها اليهود مقترنة ومرتبطة ومتلبسة بإلههم ، وعلى هذا كان من المعترف به عندهم منذ زمن بعيد أن « يهوه » ليس إلا إلهًا محليًا للبراكين ، وكان مقره سيناء [٥] .

---

(١) د. أحمد شلبي ، اليهودية ، ص ١٧٩ .

(٢) د. محمود حماية ، منهج ابن حزم في دراسة الأديان ، ص ٢٥٥ .

(٣) سفر الخروج (١٣/ ٢٠ – ٢١) .

(٤) سفر القضاة (٥/ ٣ – ٥) .

(٥) د. صابر طعيمة ، التراث الإسرائيلي ، ص ٣٦٢ .

د. أحمد شلبي ، اليهودية ، ص ١٧٧ .

ومن أوصافه البشرية :

١ ـ يجعله سفر التكوين يتنزه في الجنة محدثًا من أثر مشيته صوتًا تتحرك له الأشجار . يقول سفر التكوين مبينًا خوف آدم وحواء عند سماعها صوت أقدام الرب في الجنة : « فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها ، وأكلت وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل ، فانفتحت أعينهما ، وعلما أنهما عريانان ، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر ، وسمعا صوت الرب الإله ماشيًا في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجرة الجنة ، فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت ، فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيتك لأني عريان فاختبأت ، فقال من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرفأكلت »[١] .

٢ ـ ويصوره سفر التكوين في صورة رجل يغتسل ويتكىء تحت الشجرة في انتظار تناول الطعام الذي أعده إبراهيم ، فجاء في السفر حكاية عن إبراهيم « وتراءى له الرب في غيضة ممرى وهو جالس على باب الخيمة عند حر النهار ، ورفع عينه ونظر فإذا بثلاثة رجال واقفين به فلما رآهم أسرع لاستقبالهم من باب الخيمة وانحنى إلى الأرض ، قال يا رب إن كنت قد وجدت نعمة لديك فلا تتجاوز عبدك ، فإنه يؤتي بقليل ماء فتغسلون أرجلكم وتتكئون تحت الشجرة ، وأضع كسرة خبز تسندون بها قلوبكم ثم تجوزون ، فإنكم على ذلك مررتم بعبدكم فقالوا له افعل كما قلت ، فأسرع إبراهيم إلى الخباء إلى سارة وقال لها أسرعي اعجني ثلاثة أصواع سمندا واعمليها ملّيلا ، ثم أسرع إبراهيم إلى البقرة وأخذ عجلاً رخصًا جيدًا وأعطاه لغلام له واستعجله في إنضاجه ، ثم أخذ سمنًا ولبنًا والعجل الذي أنضجه وجعل ذلك بين أيديهم . ووقف بهم تحت الشجرة فأكلوا »[٢] .

وفي هذا النص أصبح الله ـ جل جلاله ـ ثالث ثلاثة من الرجال الذين يسيرون ويأكلون ويشربون ويجلسون إلى إبراهيم يحاكونه ويسامرونه ، وليت اليهود قد اقتصروا

---

(١) سفر التكوين (٦/٣ – ١١) .

(٢) تكوين (١/١٨ – ٨)

على إبراهيم في رؤيته لرب العزة والجلوس إليه ومسامرته - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - بل إنهم جعلوا الرب في مقام آخر بحضرة شيوخ اليهود مع موسى عليه السلام في جلسة مسامرة وطعام وشراب ، يقول كاتب الإصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج : « ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ، ورأوا إله إسرائيل تحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل ، فرأوا الله وأكلوا وشربوا » [1] .

ولم يقف تطرف كتّاب التوراة عند حد تصوير خالق الكون ومدبر السماء والأرض في صورة رب العائلة الذي يلتقي بمشايخ العائلة المهتمين ببحث شؤونها ، بل إنهم ينزلوا هذا الرب من عليائه للقاء آخر ليس مع الشيوخ وكبار القوم وعليتهم ، بل في مؤتمر عام مع الشعب اليهودي . فيقول كاتب الإصحاح التاسع عشر من سفر الخروج : « فجاء موسى ودعا بمشايخ القوم وبسط أمام وجوههم هذه الكلمات التي أمره بها الرب ، فأجاب الشعب كلهم جميعاً قائلين كل ما تكلم به الله فإنا نفعله فرد موسى كلمات القوم إلى الله ، فقال له الرب ها أنا آتيك الآن في كثيفٍ من الغمام فيسمع القوم حين أتكلم معك فيصدقونك إلى الأبد فأورد موسى كلام القوم إلى الرب ، فقال الرب لموسى انطلق إلى الشعب وطهرهم اليوم وغداً وليغسلوا ثيابهم ، ويستعدوا إلى اليوم الثالث لأنه في اليوم الثالث يهبط الله بمرأي الشعب كله على طور سيناء » [2] .

وهذا تجسيم لا شك فيه وتشبيه لا خفاء به ، ولا يجتمع ذلك مع ما جاء في التوراة : (كلمكم الله من وسط اللهيب فسمعتم صوته ولم تروا له شخصاً) .

يقول ابن حزم - رحمه الله : « وهاتان قضيتان تكذب كل واحدة منها الأخرى ولابد » [3] .

٣ - يشبِّهه اليهود بواحد منهم ، لذلك تطلق عليه التوراة كلمة رجل كما جاء في الإصحاح الخامس عشر من سفر الخروج : « الرب رجل الحرب » [4] ، ولهذا الرجل صفات وخصائص محددة خلعها عليه اليهود منها :

---

(١) سفر الخروج (٢٤/٩ - ١١) .
(٢) سفر الخروج (١٩/٧ - ١١) .
(٣) ابن حزم ، الفصل (١/١٢٤) .
(٤) سفر الخروج (١٥/٧) .

أ - تصف التوراة هذا الرجل بأنه رجل جبار شجاع حكيم ، فتقول : « ويجيء الرب كالجبار ، وكالرجل الشجاع المجرب ، ويزمجر ، ويصرخ ، ويهيج الحرب والحمية ، ويقتل أعداءه يفرح السماء والأرض » [1] .

ب - وهو لا يدعى أنه عالم ، بل يطلب من اليهود أن يرشدوه ، فقد قرر حينما كان اليهود لا يزالون في مصر « أن يجتاز في أرض مصر هذه الليلة ويضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم » [2] .

ولكنه خشى أن تنزل ضرباته باليهود ، لذلك طلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش المضحاة ، بأن يجعلوا الدم على القائمتين والعتبة العليا في البيوت [3] .

جـ - وهو ليس معصومًا ، بل كثيرًا ما يقع في الخطأ ثم يندم على ما فعل ، تقول التوراة : « فندم الرب على الشر الذي فكر في أن يفعله بشعبه » [4] .

وفي موضع آخر : « وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً : ندمت على أني قد جعلت شاول ملكًا لأنه أدبر عن اتباعي ولم يقم كلامي » [5] .

وجاء في التلمود : « ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل !! ، ومن ذلك الوقت لم يمل إلى الرقص مع حواء بعد أن زيّنها بملابسها !! ، ونسّق لها شعرها !! ، وقد اعترف الله بخطئه في هدم الهيكل ، فصار يبكي ويمضي ثلاثة أرباع الليل يزأر كالأسد قائلاً : « تبًا لي !! لأني أمرت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي ، وشغل الله مساحة أربع سنوات فقط بعد أن كان ملء السموات والأرض في جميع الأزمان » [6] .

وفي نص آخر من التلمود : « يندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى أنه يلطم ويبكي كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان في البحر ، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه ، وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل » [7] .

---

(١) سفر أشعياء (٤٢/١٤) .
(٢) سفر الخروج (١٢/١٢) .
(٣) سفر الخروج (١٢/١٣) .
(٤) سفر الخروج (٣٢/١٤) .
(٥) صموئيل الأول (١٥/١٠) .
(٦) د. محمد عبد الله الشرقاوي ، التلمود كتاب إسرائيل الأسود ، ص ١٧٦ .
(٧) السابق ، ص ١٧٧ .

د - وهو يقبل النصح والتعليم والإرشاد ، فعندما حمى غضبه على اليهود قال لموسى : « قد رأيت هذا الشعب ، فإذا هو شعب قاسي العنق ، فدعني الآن لئلا يحمي غضبي عليهم فأفنيهم » (١) .

فراجعه موسى قائلاً : « لماذا يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقدرة عظيمة وبيد قوية : علام يتكلم المصريون ويقولون إنه إنما أخرجهم لسوء ؛ ليقتلهم في الجبال وليفنيهم عن وجه الأرض ؟ ارجع عن حدة غضبك واندم على هذا الشر على شعبك . اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين أقسمت لهم بنفسك وقلت لهما إني أكثر نسلكم كنجوم السماء وكل هذه الأرض التي تكلمت عنها أعطيها لنسلكم فيرثونها إلى الأبد ، فندم الرب على الشر الذي فكر في أن يفعله مع قومه » (٢) .

وهو لا يقبل النصح والمراجعة من الأنبياء فقط ، بل يقبلها أيضًا من الكائنات غير العاقلة كما جاء في التلمود أن القمر قال له : « أخطأتَ حيث خلقتني أصغر من الشمس ، فأذعن الله لذلك واعترف بخطئه ، وقال اذبحوا لي ذبيحة أكفِّر بها عن ذنبي ، لأني خلقت القمر أصغر من الشمس » (٣) .

ذ - وهو أشبه بزعيم عصابة من قطاع الطرق ، إذ يأمرهم عندما يحين موعد خروجهم من مصر أن يسطوا على ممتلكات المصريين وما يستطيعون حمله من ثيابهم ومجوهراتهم ، يقول كاتب الإصحاح الثالث من سفر الخروج : « إني أعلم أن لا يأذن لكم ملك مصر أن تمضوا حتى ولا بيد قوية ، فأبسط يدي وأضرب مصر بكل آياتي التي أعملها في وسطها وبعد ذلك يطلقكم ، وأعطي نعمة لهذا الشعب بأعين المصريين فيكون لكم إذا ذهبتم أن لا تذهبوا فارغين ، ولكن كل امرأة تسأل جارتها والمتغربة في بيتها أواني فضة وأواني ذهب ولباسًا فتضعونها على أبنائكم وعلى بناتكم وتسلبون المصريين » (٤) .

---

(١) سفر الخروج (٣٢/٩) .

(٢) سفر الخروج (٣٢/٩ - ١٤) .

(٣) التلمود كتاب إسرائيل الأسود ، ص ١٧٧ .

(٤) سفر الخروج (٣/١٦ - ٢٢) .

س ـ وهو قاس مدمر يلعن اليهود ويتوعدهم إن خالفوا شيئًا من أوامره تقول التوراة : « إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص على أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم تأتي عليك جميع اللعنات وتدركك ، معلونًا تكون في المدينة وملعونًا تكون في الحقل ، ملعونة تكون سلتك ومعجنك ، ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك ، نتاج بقرك وإناث غنمك ، ملعونًا تكون في دخولك وملعونًا تكون في خروجك ، يرسل عليك الرب اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعًا من أجل سوء أعمالك إذ تركتني يلصق بك الرب الوباء حتى يبيدك عن الأرض التي أنت داخل إليها لكي تملكها ، يضربك الرب بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك ..... » [1] .

ولا تقف القسوة عند حد التهديد والوعيد بل إنه ينفذ وعيده كما يحكي سفر أشعياء : « احتمى غضب الرب على قومه ومدَّ عليهم يده وضربهم ، فرجفت الجبال ومُزِّقت جثثهم في وسط الطرق ، وفي هذا كله لم يرتد غضبه بل ظلت يده ممتدة » [2] .

ش ـ وهو رجل اجتماعي يتزوج ، وينجب ، ومن ثَمَّ فإن له أبناء وأحفاد ، وقد سبقت الإشارة إلى كلام التلمود عن لعبه مع حواء وتزيينها وتصفيف شعرها ، وتحكي التوراة أنه قال ليعقوب : « أنت ابني بكري » وقال لأحفاده من بني إسرائيل : « إسرائيل بكري ، وبنوه أولادي » [3] ، وقال لداود : أنت ابني وحبيبي ، وبشَّره بغلام : « سيولد لك غلام يسمى لي ابنا وأسمَّى له أبا » [4] ، وزعموا أن عزيرا ابنه كما حكى الله تعالى عنهم في قوله : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾ [التوبة : ٣٠] ، وأن اليهود أولاده وأحبابه : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] .

ص ـ وهو رجل فقير يستقرض الناس من أموالهم كما قال (فنحاص) اليهودي لأبي بكر رضي الله عنه . قال تعالى : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ [آل عمران : ١٨١] .

---

(١) تثنية (٢٨/١٥ – ٢٥) ولا يقتصر الأمر على هذه الآيات فقط بل التهديد والوعيد بأبشع أنواع الانتقام متنوع الوسائل يمتد حتى آخر الإصحاح في خمسين آية أخرى .

(٢) سفر أشعياء (٥/٢٥) .

(٣) سفر الخروج (٤/٢٢ – ٢٣) .

(٤) صموئيل الثاني (٧/١٢ – ١٤) .

كما أنهم يزعمون أنه بخيل يداه مغلولتان . قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ [المائدة : ٦٤] .

ض – وهو كعادة الناس يتعب ويصيبه الإرهاق والملل ، لذلك فقد استراح في اليوم السابع من جميع أعماله وهو يوم السبت ، يقول كاتب الإصحاح الثاني من سفر التكوين : « فكملت السموات والأرض وجميع جنودهما ، وأكمل الله في اليوم السابع أعماله التي أبدعها واستراح في اليوم السابع من جميع أعماله التي عمل » [١] .

---

(١) سفر التكوين (٢/١ – ٢) .

ثانيا : التطرف اليهودي في الانبياء

لما كان العقل البشري قاصرًا – بمفرده – عن إدراك حقائق الغيب وأصول الإيمان ، كالإيمان : بالله ، والملائكة ، واليوم الآخر .

اقتضت حكمة الباري – جلا وعلا – أن يبعث إلى الخلائق أنبياءه الكرام الذين اختارهم من بين خلقه ، ليكونوا نموذجًا للكمال البشري ، وعنوانًا للفضل ، وحملة لمشاعل النور والهداية ودعوة التوحيد ، على مدى الأزمان والدهور ، يدعون الله على بصيرة ، لذلك فقد اختارهم سبحانه على علمه ، ورباهم على عينه ، وشرفهم بأكمل الصفات : فجعلهم أئمة الدين والدنيا ، وأكمل البشر خلقًا ، وأفضلهم علمًا ، وأشرفهم نسبًا ، وأعظمهم أمانة ، يحفظهم بعنايته ، ويكلأهم برعايته .

فهل هذا هو رأي اليهود في أولئك القادة المصطفين الأخيار ؟ وهل عرفوا لهم حقوقهم وفضلهم ؟ وهل أقروا بعصمتهم وتفردهم بالخصائص والسمات الشريفة التي وهبها الله لهم ؟

تجيب نصوص التوراة بالنفي القاطع إذ إن لليهود رأيًا مخالفًا في الأنبياء تقشعر منه أبدان المؤمنين ، لما تضمنه من سبٍّ وقدح في الأنبياء صفوة البشر وأكرمهم ، لكن ليس ذلك بالأمر الغريب فالمرء لا يتملكه العجب من التطرف اليهودي في مقام النبوة بعد تهجمهم واجترائهم على الذات الإلهية ، فقد هبطوا بالذات الإلهية في تصوراتهم من السماء إلى الأرض ، وخلعوا عليها من الصفات ما يخجل منه ذوو الفطرة السليمة من البشر ، فليس بمستبعد – إذن – أن يهبطوا بمقام النبوة إلى هوة سحيقة من المعاصي والمنكرات والجرائم الأخلاقية ومخالفات الشرائع والتعاليم الإلهية .

وسنقتصر على إيراد طرف من المطاعن والمخازي التي نسبوها إلى كبار الأنبياء والرسل ، لنرى مبلغ تطرفهم ومداه :

١ ـ آدم (عليه السلام) :

يصور سفر التكوين آدم وقد أذنب عمداً بأكله من الشجرة المحرمة ، ولم يعترف بذنبه لما طلبه الله ، ولم تثبت توبته إلى آخر يوم في حياته، يقول كاتب الإصحاح الثالث :

« وسمعا (آدم وحواء) صوت الرب الإله ماشياً في الفردوس في رواح اليوم فاستتر الإنسان وزوجته عن وجه الرب الإله في وسط شجر الفردوس ، فنادى الرب الإلهُ الإنسانَ وقال له أين أنت ؟ قال قد سمعت صوتك في الفردوس ففزعت لكوني عرياناً فاختبأت ، قال : من أعلمك أنك عريان ؟ أمِن الشجرة التي نهيتك عن الأكل منها أكلت ؟ فقال الإنسان إن المرأة التي جعلت معي هي ناولتني من الشجرة فأكلت . وقال لآدم : من أجل أنك سمعت مقالة امرأتك وأكلت من الشجرة التي أمرتك قائلاً لا تأكل منها ، فملعونة الأرض من جراك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وتنبت لك شوكاً وحسكاً وتأكل عشب الأرض ، وبعرق وجهك تأكل الخبز إلى أن تعود إلى الأرض لأنك منها » (١) .

٢ ـ نوح (عليه السلام) :

تصور التوراة نوحاً ـ عليه السلام ـ على أنه رجل خمر سكير ، يعاقر الخمر حتى تدور برأسه ، وتذهب بعقله ، فيتعرى ، وتتكشف سوأته ، فيراه ابنه (حام) على هذا الحال المزري ، فيخبر أخويه بذلك ، وعندما يفيق نوح من خمره وسكره يلعن ابنه حام ، ويحكم عليه بالعبودية والمذلة لأخويه ، يقول كاتب الإصحاح التاسع من سفر التكوين :

« وشرع نوح يفلح الأرض وغرس كرماً ، وشرب خمراً فسكر ، وتكشف في خبائه ، فنظر حام أبو كنعان عورة أبيه فأخبر أخويه خارجاً ، فأخذ سام ويافث رداء وجعلاه على أكتافهما ومشيا على أعقابهما وسترا عورة أبيهما ووجوههما مصروفة ولم ينظرا عورة أبيهما ، فلما أفاق نوح من الخمر ، وعلم بما عمل به أبنه الأصغر قال : ملعون كنعان فيكون عبد العبيد لإخوته ، ثم قال : مبارك الرب إله سام ، وليكن كنعان عبداً لهما ، ليوسع الله على يافث ، ويحل في مساكن سام ، وليكن كنعان عبداً لهما ، وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة » (٢) .

---

(١) سفر التكوين (٣/٨ – ١٩) .

(٢) سفر التكوين (٩/١٩ – ٢٨) .

والعجيب أن الذي أذنب بالنظر إلى عورة أبيه هو حام أبو كنعان ، والذي عوقب باللعنة ابنه كنعان ، وأخذ الابن بذنب الأب خلاف العدل ، وهذا وجه آخر من وجوه التطرف اليهودي ، فقد جاء في الإصحاح الثامن عشر من سفر حزقيال :

« إنما الابن إذا فعل ما هو عدل وبر وحافظ على جميع فرائضي وعمل بها فإنه يحيا حياة ، إنما النفس التي تخطىء تموت هي ، لا الابن يحمل إثم الأب ، ولا الأب يحمل إثم الابن ، إن على البار بره وإن على الفاجر فجوره ، فإذا رجع الفاجر عن جميع خطاياه التي فعلها وحافظ على فرائضي كلها وفعل ما هو عدل وبر فإنه يحيا ويعيش ولا يموت ، ولا تذكر له معاصيه التي فعلها كلها ، وفي بره الذي عمل يحيا »[1] .

٣ ـ إبراهيم (عليه السلام) :

يطالعنا الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين بأنباء حدوث مجاعة في أرض كنعان ، حيث كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد وصل إليها واستقر بها قادمًا من العراق . كذلك يخبر أن نبي الله كان في سن متقدمة إذ كان قد بلغ الخامسة والسبعين ، وكان عليه أن يواصل الرحلة التي قطعها من العراق من عند ملك ظالم على شاطىء نهر رفض فيه الناس دعوته فهاجر إلى فلسطين ثم إلى مصر أيضًا عند ملك يفترض فيه أنه لم يكن أقل ظلمًا من صنوه ملك العراق ، لكن المهم في تلك الرحلة ذلك الحوار الذي نقله كاتب الإصحاح وينسبه إلى نبي الله وزوجته السيدة سارة مؤداه : أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ استشعر نوعًا من الخوف على حياته بسبب توقعه أخذ زوجته منه لحاكم مصر وقتله بسبب ذلك ، وأنه بناء على ذلك اتفق معها على أن لا يبدر منه أو منها ما يدل على أنها زوجته ، وإذا ما سألوها عن هذا الأمر فلتقل إنها أخته ، لأنه عندئذ إذا ما رغب فيها أحد من المصريين سيضطر أن يتركها لمن يريدها .

يقول كاتب الإصحاح : « فلما قارب أن يدخل مصر قال لساراي (سارة) زوجته : أنا أعلم أنك امرأة حسنة المنظر ، فإذا رآك المصريون قالوا هذه امرأته فيقتلونني ويستحيونك ، فقولي إنكِ أختي ليُحسَن إليَّ بسببك وتحيا نفسي من أجلك ، فلما أن دخل إبرام (إبراهيم) مصر أبصر المصريون المرأة أنها في غاية الحسن ، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها عند فرعون ، فأُخذت المرأة إلى دار فرعون ، فأحسن إلى إبرام من أجلها ، فكان له غنم وبقر وحمير وعبيد وجواري وأُتن وإبل »[2] .

---

(١) حزقيال (١٨/١٩ – ٢٢) .
(٢) سفر التكوين (١٢/١١ – ١٦) .

٤ ـ لوط (عليه السلام) :

تصور التوراة لوطًا وقد باشر أرذل وأحط الجرائم التي يعجز عنها أسافل البشر وأرازلهم مما يعجز العقل حتى عن تصور حدوثه من إنسان كائنًا ما كان فتذكر التوراة :

أولاً : أن لوطًا قد تلكأ في الاستجابة لأمر الله له بالخروج من المدينة التي حلّ عليها عذاب الله ، وقد دفعه الملكان دفعًا للخروج ، وتزعم التوراة أن امرأته قد نجت معه ، يقول كاتب الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين :

« ولما طلع الفجر كان الملكان يلحان على لوط قائلين : قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة ، ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه ... وأخرجاه ، ووضعاه خارج المدينة »[1] .

ثانيًا : أنه قد عاقر الخمر حتى الثمالة ، فسكر ، وزنى بابنتيه وأنجب منهما سفاحًا في ليلتين متتاليتين . تقول التوراة :

« ثم إن لوطًا صعد من صاغر وسكن الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يقيم بصاغر ، وقعد في مغارة هو وابنتاه ، فقالت الكبرى للصغرى إن أبانا قد شاخ وليس على الأرض رجل يدخل علينا كعادة أهل الأرض ، فتعالَيْ نَسْق أبانا خمرًا ونضطجع معه ، ونُقم من أبينا ذرية .

فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة ، ودخلت الكبرى واضطجعت مع أبيها ، وهو لا يعلم باضطجاعها ولا بنهوضها ، ولما كان الغد قالت الكبرى للصغرى أنا قد اضطجعت البارحة مع أبي فلنسقه ليلتنا هذه أيضًا خمرًا وادخلي أنت فاضطجعي معه ، فنقيم من أبينا ذرية .

فسقتا أباها خمرًا في تلك الليلة أيضًا ، وقامت الصغرى فاضطجعت معه ، وهو لا يعلم باضطجاعها ولا بنهوضها ، فحملت ابنتا لوط من أبيهما ، وولدت الكبرى ابنًا وسمته موآب ، فهو أبو المؤابيين إلى اليوم ، وولدت الصغرى أيضًا ابنًا وسمته ابن عمّي ، فهو أبو العمانيين إلى اليوم »[2] .

---

(١) سفر التكوين (١٩/١٥ – ١٦) .

(٢) سفر التكوين (١٩/٣٠ – ٣٨) .

٥ ـ إسماعيل (عليه السلام) :

يبدأ تطرف اليهود في اعتقادهم تجاه إسماعيل ـ عليه السلام ـ بمحاولة نزع شرف بكوريته لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن ثمَّ جعل الذبيح ووارث النبوة إسحاق وليس إسماعيل عليهما السلام .

فتصرح التوراة أن الذبيح هو إسحاق كما جاء في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين : « وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم ، فقال له : يا إبراهيم . قال : ها أنذا . فقال : خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض أمريا ، وأصعده ، هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك ، فبكر إبراهيم صباحًا ، وشد على حماره ، وأخذ اثنين من غلمانه ومعه إسحاق ابنه ، فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على إسحاق ابنه وكلم إسحاق إبراهيم أباه ، وقال : يا أبي . فقال : ها أنذا ، فقال : هو ذا النار والحطب ولكن أين الخروف ؟! فلما أتيا الموضع ، ربط إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب »(١) .

فتذكر التوراة في هذا النص أن إسحاق كان هو الابن الوحيد لإبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو الذبيح الذي فُدي ، وهذا غاية في الكذب ومنتهى في التطرف ، تؤكده التوراة عينها ، والتي تنص على أن إسحاق لم يكن في يوم من الأيام وحيدًا لأبيه ، لأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد رزق بإسماعيل قبل أن يرزق بإسحاق بأربع عشرة سنة ، وكان عمره ـ عليه السلام ـ عند ولادة إسحاق (مائة سنة) كما تقول التوراة في الإصحاح الحادي والشعرين من سفر التكوين : « وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه »(٢) .

بينما كان عمره (ستا وثمانين سنة حينما رزق بإسماعيل حسب نص التوراة في الإصحاح السادس عشر : « وأما سارة امرأة إبراهيم فلم تلد له ، وكان لها جارية مصرية اسمها هاجر ، فقالت سارة لإبراهيم : هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة ، ادخل على جاريتي لعلي أرزق منها بنين ، فدخل على هاجر فحبلت .. ، فأذلّتها سارة ، فهربت عن وجهها فوجدها ملك الرب عند عين ماء في البرية ... ، فقال لها : يا هاجر

---

(١) سفر التكوين (٢٢/١ – ١٣) .

(٢) سفر التكوين (٢١/٥) .

جارية سارة من أين تجيئين وإلى أين تريدين ، فقالت إني هاربة من وجه سارة مولاتي ، فقال لها ملك الرب ارجعي إلى مولاتك واتضعي تحت يديها ، ثم قال لها ملك الرب سأكثر نسلك تكثيراً حتى لا يحصى كثرة ، وبعد ذلك قال لها ملك الرب ها أنت حامل وستلدين ابنًا وتسمينه إسماعيل ... ، ثم إن هاجر ولدت لإبراهيم ابنًا ، وسمّي إبراهيم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل ، وكان إبراهيم ابن ست وثمانين سنة حين ولدت له هاجر إسماعيل » (١) .

وفي التوراة أيضًا أن إبراهيم قد دعا الله أن يبارك إسماعيل قبل أن يولد له إسحاق ، بل قبل أن يُبَشَّر به ، فيحكي الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين أن إبراهيم قال لربه : « ألا ليت إسماعيل يعيش بين يديك ، فقال له الله : إن سارة زوجتك تلد لك ابنًا وتسميه إسحاق وإني أقيم معه ميثاقي عهداً سرمداً ولذريته من بعده ، وأما إسماعيل فقد سمعتك فيه ألا وإني أبارك فيه وأثمره وأكبرنّه غاية التكبير وسيلد اثنى عشر رئيسًا وأجعلنّه لشعب عظيم ، فأما ميثاقي فأقيمه لإسحاق الذي تلده لك سارة في مثل هذا الوقت في السنة المقبلة » (٢) .

ويرجع ذلك على ما يبدو إلى أن اليهود يرون أن إسماعيل ابن الجارية ، وابن الجارية لا يجب أن يكون له عهد أو ميراث (٣) ، كما تذكر التوراة في سفر التكوين : « ورأت سارةُ ابنَ هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح ، فقالت لإبراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها ؛ لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق » (٤) .

وتعقب التوراة على ذلك بقولها : « فقال الله لإبراهيم : في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها ؛ لأنه بإسحاق يدعي لك نسل » (٥) .

٦ ـ إسحاق (عليه السلام) :

على الرغم من محاولة اليهود سلب إسماعيل شرف البكورة والتضحية والفداء في قصة الذبح ، وجعلها على إسحاق ، إلا أن إسحاق لم ينج من فظائع التطرف اليهودي ،

---

(١) سفر التكوين (١/١٦ – ١٦) .
(٢) سفر التكوين (١٨/١٧ – ٢١) .
(٣) د. محمد عبد الله الشرقاوي ، مقارنة الأديان ، ص ٢٠٥ .
(٤) سفر التكوين (٩/٢١ – ١٠) .
(٥) سفر التكوين (١٢/٢١) .

التي لاحقته ورمته بالكذب والغباوة وسهولة الاحتيال عليه حتى أن حاكم الفلسطينيين يعاتبه على الكذب ، تقول التوراة :

« فأقام إسحاق في جرار ، وسأله رجال ذلك الموضع عن زوجته فقال هي أختي لأنه خاف أن يقول هي زوجتي فيقتله أهل الموضع بسبب (رفقة) زوجته لكونها جميلة المنظر ، ثم اتفق بعد أن طالت أيام مكثه هناك أن أشرف (أبيمالك) ملك الفلسطينيين ذات يوم من طاقة له ، وتطلع فإذا إسحاق يداعب رفقة زوجته ، فدعا أبيمالك إسحاق وقال له : إنما هي زوجتك فعلام قلت هي أختي ؟ »(1) .

فنسب اليهود الكذب إلى إسحاق ـ عليه السلام ـ كما نسبوه إلى أبيه إبراهيم من قبل ، وفي ظروف مشابهة لظروف أبيه وهي الخوف على الزوجة من الرجال أصحاب المكان .

٧ ـ إسرائيل (يعقوب) :

يظن المرء أن يعقوب (إسرائيل) النبي الذي يتشرف اليهود بالانتساب إليه ـ ويعد أباهم الأبعد ـ سوف ينجو من بصمات التطرف اليهودي وفظائعه تجاه الأنبياء ، لكن هذا الظن سرعان ما يتبدد حينما يطالع القارىء ما خطته أقلام اليهود في أسفارهم المقدسة لتصور حال يعقوب أبيهم الذي ينتسبون إليه ، فتصوره التوراة كاذبًا محتالاً غشاشًا لصًا ، وتجعل بيته بيت فجور ودعارة تفشو فيه الرذيلة والزنا بين آل يعقوب ، سيّان بنوه أو بناته .

فتحكي التوراة أن يعقوب قد كذب على أبيه ، واحتال ، وتخابث ، وسرق منه بركة أخيه البكر عيسو التي استحقها من أبيه لبكوريته طبقًا للقواعد التوراتية .

جاء في سفر التكوين : « ثم إن يعقوب طبخ طبيخًا ، وأقبل عيسو من الحقل وهو متعب ، فقال عيسو ليعقوب أطعمني من هذا الإدام الأحمر فإني متعب ، من أجل ذلك سمّي أدوم ، فقال يعقوب : بع لي اليوم بكوريتك ، فقال عيسو : ها أنا أوشك أن أموت فما تنفعني البكورية ، فقال يعقوب : احلف لي اليوم ، فحلف له وباع ليعقوب بكوريته ، فقدم يعقوب لعيسو خبزًا وإدامًا من العدس ، فأكل وشرب ثم قام ومضي ، وأزرى عيسو بالبكورية »(2) .

---

(1) سفر التكوين (٢٦/٧ – ٩) .
(2) سفر التكوين (٢٥/٢٩ – ٣٣) .

فهذه هي المحاولة الأولى من يعقوب لسلب بكورية عيسو ومن ثمّ الظفر ببركة أبيهما إسحاق كما تقضي قواعد التوراة ، وفي هذه المحاولة لم يتورع يعقوب عن استغلال جوع أخيه وحاجته للطعام في الضغط عليه وابتزازه وإجباره على التنازل عن حق البكورية .

بعد أن انتزع يعقوب حق البكورية من أخيه عيسو قسرا طمحت نفسه إلى الظفر ببركة أبيه مستبيحًا لنفسه كافة الوسائل غير المشروعة واللاأخلاقية في سبيل ذلك .

تقول التوراة : « فشاخ إسحاق وكلّت عيناه عن النظر فدعا عيسو ابنه الأكبر وقال له : بُنَيّ ، فقال له : ها أنا ، قال : ها أنا قد شخت وما أعلم يوم وفاتي ، فخذ سلاحك : الجعبة والقوس واخرج إلى الصحراء واقتنص لي صيدًا ، واصنع لي منه طعامًا على ما أحببت وقدّمه لي حتى آكل فتباركك نفسي قبل أن أموت ، فسمعت رفقة (زوجة يعقوب) قول إسحاق لعيسو ابنه ، وأن عيسو مضى إلى الصحراء ليقتنص صيدًا ويأتي به ، فكلمت رفقة ابنها يعقوب قائلة : إني سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً : ائتني بصيد واصنع لي منه طعامًا فآكله وأباركك أمام الرب قبل وفاتي .

فالآن يا بني اسمع ما آمرك به ، اذهب إلى الغنم وائتني من هناك بجديين من معز جيدين فأعمل منهما طعامًا لأبيك على ما يحب ، وادخل به على أبيك فيأكل منه لكي يباركك قبل موته ، فقال يعقوب لرفقة أمه هو ذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أجرد ، فلعل أبي يَجُسُّني فأكون عنده كالماكر به فأجلب عليّ لعنة لا بركة ، فقالت له أمه : لعنتك هذه تكون عليّ يا بنيّ ، وإنما اسمع قولي فقط واذهب واتخذ لي ، فذهب واتخذ وأتى به إلى أمه ، فهيأت أمه الطعام كما أحب أبوه ، فأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الكبير الفاخرة التي كانت عندها في البيت ، فألبست يعقوب ابنها الصغير إياها ، وكست بجلود المعز يديه والأملس من عنقه ، وسلمت الطعام والخبز الذي عملت بيد يعقوب ابنها .

فدخل بهما على أبيه ، وقال : يا أبت . قال : ها أنا .. من أنت يا بنيّ ؟ فقال يعقوب لأبيه : أنا عيسو بكرك فعلت كما أمرتني ، فاجلس ، واستو ، وكُلْ من صيدي لتباركني نفسك ، فقال إسحاق لابنه : كيف وجدته وشيكًا هكذا يا بني . قال : لأنه قد رزقنيه الله ربك ، فقال إسحاق ليعقوب : تقدم هنا لأجسك يا بني إن كنت أنت ابني عيسو أم لا ، فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه فجسّه وقال : أما الصوت فصوت يعقوب وأما

اليدان فيدا عيسو ، وما عرفه لأن يديه كانتا شعرانيّتين كيدي عيسو أخيه ، ثم باركه ، وقال : أو أنت عيسو ابني ؟ قال : أنا ذاك . قال : تقدّم إليَّ فآكل من صيد ابني ؛ لتباركك نفسي ، فدنا إليه فأكل ، ثم جاءه أيضًا بخمر فشرب .

فقال له إسحاق أبوه : ادنُ وقبِّلني يا بنيّ ، فدنا منه وقبّله ، فاشتم رائحة ثيابه فباركه ، وقال : انظر إن رائحة ابني كرائحة حقل باركه الرب ، فليعطك الله من ندا السموات ومن دسم الأرض وكثرة الحنطة والخمر ، وليُتَعَبَّد لك الشعوب ، تسجد لك الأمم ، كن أنت مولى لإخوتك ، وليَجْثُ بين يديك بنو أمك ، من يلعنك يكن ملعونًا ومن يباركك يكن مباركًا »[1] .

وينسب اليهود إلى يعقوب في هذا النص رزائل عديدة :

أولهـــا : خداع أبيه وغشه .

والثاني : أن بركته من أبيه مسروقة .

والثالث : الكذب في عدة مواضع :

١ ــ قوله لأبيه إسحاق : «أنا عيسو ابنك بكرك» ولم يكن ابنه عيسو، ولم يكن بكره .

٢ ــ قوله لأبيه « صنعت جميع ما قلت لي فاجلس وكل من صيدي » ولم يكن قد قال له شيئًا ، ولم يطعمه من صيده .

أما بيت يعقوب عليه السلام فيجعله اليهود أقرب إلى بيوت الفجور والدعارة لا بيتًا من بيوت النبوة : فيعقوب يتزوج الأختين « ليًا » و« راحيل » ابنتى خاله « لابان »[2] ، مع أن الجمع بين الأختين حرام بنص التوراة : « ولا تأخذ زوجة على أختها ضرة لها لتكشف عورتها مع الأخرى في حياتها »[2] ، ويكون أحد النكاحين باطلاً ويكون أولاد المرأة التي نكاحها باطل أولاد زنا .

و« دينا » ابنه يعقوب تتعلق بـ« شخيم بن حمود الحاوي » وتستجيب لدعوته ، فيأخذها ويضاجعها ، ويفض بكارتها ، لتجلب العار والذل على قومها[3] .

---

(١) سفر التكوين (٢٧/١ - ٢٩) .

(٢) سفر اللاويين (١٨/١٨) .

(٣) سفر التكوين (٣٤/٢ - ٤) .

و« راؤبين » الولد الأكبر ليعقوب يضاجع « بلها » سريّة أبيه وأم أخويه (دان ، نفتالي) ، ويسمع يعقوب بذلك ولا يعير الأمر اهتماماً كأن الحدث لا يعنيه ، فلم يعزره ولم يقم عليه حدًا ولا على زوجته وأم أولاده « بلها » [1] .

وابنه يهوذا يزني بـ« ثامار » زوجة ابنه البكر « عير » . وبعد اكتشاف واقعة الزنى لم يُقِمْ حدًا وتعزيرًا على أيّ منهما ، بل لم يَذُمَّ يعقوب يهوذا على ما فعله ، وإنما صدر عنه ما مدحه به ودعا له [2] .

٨ ـ موسى وهارون (عليهما السلام) :

يصور اليهود موسى محتالاً يستغل خروجه من مصر بخداع المصريين وأمر أتباعه بسلب أمتعتهم وحلي ومجوهرات نسائهم على الرغم من اعتقادهم كونه أعظم نبي جاء في تاريخ اليهود . تقول التوراة على لسان موسى :

« فيكون لكم إذا ذهبتم أن لا تذهبوا فارغين ، ولكن كل امرأة تسأل من جارتها ومن المتغربة في بيتها أواني فضة وأواني ذهب ولباساً ، فتضعونها على أبنائكم وعلى بناتكم ، وتسلبوا المصريين » [3] .

ويعتبر اليهود موسى وهارون خائنين اقترفا جريمة خيانة الرب وعدم تقديسه وعدم الإيمان به إيمانًا عميقًا ؛ لذلك فقد حرمهما الرب من دخول الأرض المقدسة الموعودة عقابًا لهما على إثمهما وخيانتهما الرب وسط بني إسرائيل ، فتقول التوراة :

« وكلم الرب موسى وهارون في جبل هور عند تخم أرض أدوم قائلاً : إن هارون ينضم إلى قومه لأنه لا يدخل الأرض التي أعطيتها بني إسرائيل لأنكما عصيتما فمي عند ماء الخصام » [4] .

وتقول التوراة : « وكلم الرب موسى وهارون من حيث إنكما لم تؤمنا بي لتقدساني في عيون بني إسرائيل ، فلا تدخلان مع هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها » [5] .

---

(١) سفر التكوين (٢٢/٣٥) .
(٢) سفر التكوين (١٦/٣٨ - ٣٠) .
(٣) سفر الخروج (٢٣/٢٠ - ٢٥) .
(٤) سفر العدد (٢٣/٢٠ - ٢٥) .
(٥) سفر العدد (١٢/٢٠) .

وجاء في سفر التثنية : « وكلم الرب موسى في عين ذلك اليوم قائلاً : اطلع إلى الجبل عبريم هذا جبل نبو الذي في أرض مواب الذي قبالة أريحا وانظر إلى أرض كنعان التي أعطيها لبني إسرائيل حوزًا ، ومُتْ في الجبل الذي أنت طالع فيه وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور وانضم إلى قومه ؛ لأنكما تعديتما عليَّ في بني إسرائيل عند مياه خصام قادش في بريَّة صين إذ لم تقدساني في وسط إسرائيل ، ولكنك ترى الأرض قبلُ إلا أنك لا تذهب هناك إلى الأرض التي أعطيها لبني إسرائيل » (1) .

وأيضًا يعتبر اليهود موسى وثنيًا يصنع الحية النحاسية لعبادتها وتقديسها مع بني إسرائيل : « وسحق (حزقيا) حية النحاس التي عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها » (2) .

أما هارون شريك موسى في الرسالة فهو متهم من اليهود بخيانة الرب بالاشتراك مع أخيه موسى وكان عقابهما عدم دخول الأرض المقدسة مع بني إسرائيل ، كذلك فهو متهم بالوثنية وعبادة المخلوقات المصنوعة بيد البشر ، إذ تحكي التوراة أنه استغل فرصة ذهاب موسى إلى الجبل ليتلقى الهداية والتعليم من ربه ، فقام بصناعة صنم على هيئة عجل ذهبي من مسروقات ومصوغات المصريين ـ التي تقول التوراة إن موسى قد أمر بني إسرائيل بسلبها ـ ثم أمر اليهود بعبادته ، وعبده معهم ، وبني له مذبحًا ، وعيّد له عيدًا ، وذبح له ، جاء في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج :

« ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ عن النزول من الجبل اجتمع القوم إلى هارون وقالوا له : قم اعمل لنا آلهة تسير قدامنا لأن موسى هذا الرجل الذي أخرجنا من أرض مصر لم ندر ما جرى عليه ، فقال لهم هارون فكُّوا شنوف الذهب التي في آذان نسائكم وأبنائكم وائتوني بها ، ففكّ القوم كلهم شنوف الذهب التي كانت في آذانهم ، وجاءوا بها إلى هارون ، فأخذها من يدهم وصاغها بآلة النقر بعد أن عملها عجلاً سبيكًا ، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر ، فلما رأي هارون ذلك بنى مذبحًا قدامه ، ونادى هارون وقال غدا عيد للرب ، فقاموا بكرة في الغداة ، وقربوا صعائد ،

---

(1) سفر التثنية (٣٢/٤٩ – ٥٢) .

(2) سفر الملوك الثاني (١٨/٤) .

وقدموا قرابين سلم ، وجلس القوم للأكل والشرب وقاموا للعب ، فقال الرب لموسى : امض انزل لأن قومك الذين أخرجتَهم من أرض مصر قد فسدوا ، لقد حادوا سريعًا عن الطريق التي أمرتُهم بها ، وعملوا عجلاً سبيكًا وسجدوا له ، وذبحوا له ، قالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر » [1] .

٩ ــ داود (عليه السلام) :

تُظهر التوراة داود مطعوناً في نسبه وشرفه ، فهو ينحدر من جهة أمه من (موآب) ، وموآب هذا هو ولد الزنا الذي جاء من مضاجعة بنت لوط البكر أباها لوطًا النبي بعد أن سقته الخمر وأفقدته وعيه .

أما بيت داود فهو بيت دعارة وفجور ، لا بيت نبوة وحكم وملك : فأولاده يزنون بأخواتهم ، ويزنون بنساء أبيهم علانية أمام أعين جميع الشعب ، (فأمنون) ابنه يزني بأخته (ثامار) [2] ، و (بشالوم) ابنه تقام له خيمة على سطح بيت الملك ، فيدخل على نساء أبيه أمام جميع إسرائيل [3] ، ويحاربه حربًا ضروسًا قتل فيها عشرون ألفاً من اليهود .

وهذا الابن بذلك الفصل يكون قد فاق ما فعله (روبيل) ابن يعقوب الأكبر في ثلاثة أمور :

أولهـــا : أنه زنى بجميع نساء أبيه بينما زنى روبيل بامرأة واحدة .

والثاني : أنه زنى علانية أمام اليهود بينما زنى روبيل خفية .

والثالث : أنه حارب أباه حتى قُتِل عشرون ألفًا من بني إسرائيل .

ولم يفعل داود ــ عليه السلام ــ شيئًا حيال هذا الخلف السوء ، بل إنه وصى رؤساء جنده ألا يقتله أحد ، ولما خالف أحدهم ذلك وقام بقتله بكاه داود بكاء شديدًا وحزن عليه ، وتجعل التوراة حادثة الزنا المخزية تلك عدلاً من الرب وعقابًا لداود نفسه نتيجة زناه بامرأة (أوريا) قائد جنده كما يحكي الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني :

---

(١) سفر الخروج (٣٢/١ – ٨) .

(٢) سفر صموئيل الثاني (١٣/١ – ١٤) .

(٣) سفر صموئيل الثاني (١٦/٢٢ – ٢٣) .

• وكان عند المساء أن قام داود من فراشه ومشى على سطح بيت الملك فرأى من السطح امرأة تغتسل ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً ، فأرسل داود واستقصى عن المرأة ، فقال له إنسان : أليست هذه بت شبع بنت اليعام زوجة أوريا الحثيّ ، فأرسل داود رسلاً ، وأخذها ، فدخلت إليه فاضطجع معها ، إذ كانت قد تطهرت من نجاستها ، ورجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت أنا حبلى ، فأرسل داود إلى يواب أن ارسل إليّ أوريا الحثي فأرسل يواب أوريا إلى داود ، فلما جاء أوريا إليه سأل داود عن سلامة يواب وعن سلامة القوم وعن تقدم الحرب ، ثم قال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك ، فانصرف أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه جارية الملك ، فرقد أوريا بباب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته ، فلما أخبروا داود قائلين : إن أوريا لم ينزل إلى بيته ، قال داود لأوريا : أما قدمتَ من سفر : لِمَ لم تنزل إلى بيتك ؟ فقال أوريا لداود : إن التابوت وإسرائيل ويهودا مقيمون في الخيام وسيدي يواب وعبيد سيدي مخيمون في فضاء الحقول ، أفأذهب أنا إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي ؟ لعمرك ولعمر نفسك أني لا أفعل هذا الأمر .

فقال داود لأوريا : البثْ اليوم أيضاً هنا وغداً أطلقك . فمكث أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده ، ولما دعاه داود أكل وشرب بين يديه وأسكره ، ثم خرج في المساء ليضطجع في فراشه مع عبيد سيده إلى بيته لم ينزل .

وكان في الصباح أن كتب داود صحيفة إلى يواب وبعث بها على يد أوريا ، وكتب في الصحيفة يقول : اجعلوا أوريا في مقدمة القتال الشديد وانصرفوا من ورائه ليُضرب فيموت ، وكان عندما حرس يوابُ المدينة أنه عَيَّن أوريا في مكان كان يعرف فيه الرجال الشجعان ، فخرجت رجال المدينة وقاتلوا يواب فوقع من القوم من عبيد داود ومات أيضاً أوريا الحثي .

فأرسل يواب وأخبر داود بجميع أمور الحرب ، وأوصى الرسول قائلاً : إذا فرغت من الإخبار بأمور الحرب مع الملك فإن قام غضب الملك فقال لك لِمَ دنوتم من المدينة حين قاتلتم أما علمتم أنهم يرمون عليكم من السور ؟ مَنْ ضرب أبيمالك بن يروبشة ؟ ألم تطرح عليه امرأة قطعة رحى من السور فمات في تبص ؟ فلم دنوتم من السور ؟

فتقول أنت : وعبدك أوريا الحثي مات .

فذهب الرسول وجاء وبيّن لداود كل ما بعثه به يواب ، وقال الرسول لداود إن الرجال قدروا علينا وجاءوا إلينا إلى الحقل وكنا نحن عليهم حتى إلى مدخل الباب ، فرمت الرماة من السور على عبيدك فمات من عبيدك الملك ومات أيضًا عبدك أوريا الحثي .

فقال داود للرسول : هكذا تقول ليواب ، لا يكن هذا الأمر سيئًا في عينيك فإن السيف يبيد كذا وكذا ، شدد قتالك على المدينة ودكها وشجعه أنت ، فلما سمعت زوجة أوريا أن زوجها أوريا مات ناحت على زوجها ، فلما انقضت المناحة بعث داود فأخذها إلى بيته فصارت له زوجة وولدت له ابنًا فساء ما عمل داود في عيني الرب » (1) .

وكانت نتيجة سوء فعل داود في عيني الرب أن تقرر العقاب التالي على داود : « لأنك ازدريتني وأخذت زوجة أوريا الحثي لتكون لك زوجة هكذا يقول الرب . ها أنا أنهض شرًا عليك في بيتك ، وآخذ أزواجك من قدامك وأعطيهن جارك فيضطجع مع أزواجك في عين هذه الشمس ، لأنك فعلت فأنا أعمل هذا الشيء قدام إسرائيل كافة وقدام الشمس » (2) .

فقد صدرت عن داود ثماني خطيئات :

الأولى : أنه نظر إلى امرأة أجنبية بنظر الشهوة .

الثانية : أنه لم يكتف بتلك النظرة ، بل طلب المرأة وزنا بها على الرغم من الحرمة القطعية للزنا كما تنص الوصايا العشر .

الثالثة : أن هذا الزنا كان بزوجة الجار وهو أقبح أنواع الزنا .

الرابعة : أنه لم يُقم حد الزنا على نفسه ولا على هذه المرأة ، وحد الزنا هو القتل كما تقضي التوراة : « ومن يزني بزوجة جاره فإن الزاني والزانية يموتان » (3) .

الخامسة : أنه طلب من أوريا أن يذهب إلى بيته ويضطجع مع زوجته ليستر فعل داود وخطيئته .

---

(1) سفر صموئيل الثاني (11/2 - 27) .

(2) سفر صموئيل الثاني (12/10 - 12) .

(3) سفر اللاويين (20/10) .

السادسة : أنه قتل أوريا بيد الجند مع أنه رجل مخلص وبار مخالفًا بذلك نص الآية السابعة من الإصحاح الثالث والعشرين من سفر الخروج « لا تقتل البار الزكي » .

السابعة : أنه لم يتب من خطيئته .

الثامنة : أنه دعا للولد الذي أنجبه من الزنا بالعافية وصام من أجله ولم يجر حكم الله فيه بأن ولد الزنا يموت .

١٠ ـ سليمان (عليه السلام) :

تقدم التوراة سليمان ـ عليه السلام ـ شأنه شأن أبيه مطعونًا في نسبه إذ تقدمه لنا باعتباره ابن (بتشبع) زوجة أوريا الحثي وهي المرأة التي زنى بها داود عليه السلام .

كما يصوره اليهود في صورة المترف الذي يعيش حياة السفه والتبذير فهو كما تحكي التوراة : « كان خبز سليمان في اليوم ثلاثين كيلاً من السميد ، وستين كيلاً من القمح ، وعشرة ثيران معلوفة وعشرين ثورًا من المراعي ، ومائة شاة عدا ايَّل وظبي ويحمور وطير سمين »[1] .

وينسب اليهود إلى سليمان ـ عليه السلام ـ سفرًا داعرًا ماجنًا من أسفار العهد القديم يتسم بالتدني والرقاعة والخلاعة والفجور ولا يصلح إلا مادة لكتب الجنس الرخيص التي يروج لها اليهود ، فعمدته الغزل الفاحش ، إذ يقول سليمان ـ كما يزعمون ـ في إحدى فقراته :

« ما أجملَ رجليك بالنعلين !
دوائر فخذيك مثل الحلى صنعة يدي صناع !
سُرَّتُك كأس مدوَّرة لا يعوزها شراب ممزوج !
بطنك سبرة حنطة مسيجة بالسوسن !
ثدياك كخشفتين توأمي ظبية !
عنقك كَبُرْجٍ من عاجٍ !
عيناك كالبرك في حبشون عند باب بثَّ ربِّيم !
أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق !
رأسك عليك مثل الكرمل !

---

(١) سفر الملوك (٤/٢٢ - ٢٣) .

وشعر رأسك كأرجوان !
ملك قد أسر بالخصل !
ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة لمسرات !
قامتك هذه شبيهة بالنخلة ، وثدياك بالعناقيد !
قلت لأصعدن إلى النخلة وأمسك بسعفها !
فثدياك الآن يكونان كعناقيد الكرم ، ورائحة أنفك كالتفاح وسقف فمك كأحسن الخمر لحبيبي السائغ بلذة ينطق شفاه الراقدين !! أنا لحبيبي وتوقانه إليَّ » [1] .

* * *

« ليتك تكون كأخي الراضع ثديَّ أمي !
فأجدك في الخارج وأقبِّلك ولا يحتقرونني !
وأدخل بك بيت أمي وهي تعلّمني فأسقيك الخمر المطيبة من عصير رماني !
شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني !
أحلّفكن يا بنات أورشليم ألا تنهضن وألا توقظن الحبيبة حتى تشاء » [2] .

أما ثالثة الأثافي فهي اتهام سليمان ـ عليه السلام ـ بالارتداد في أخريات حياته وعبادة الأصنام بسبب النسوة اللاتي تعلق قلبه بهن فأملن قلبه إليهن ، جاء في سفر الملوك الثاني :

« إلا أن الملك سليمان أحب نساء كثيرة غريبة مع ابنة فرعون مؤابيّات وعمّونيّات وإدوميّات وصيدونيّات وحثّيّات ، من الأمم الذين قال الرب عنهم لبني إسرائيل لا تدخلوا عليهم ولا يدخلوا عليكم فيزيغوا قلبكم إلى آلهتهم ، وكلف سليمان بهؤلاء حبًا ، فكان له سبعمائة امرأة سَرِيّة وثلثمائة سُرِّيّة وأزاغت نساؤه قلبه ، لأنه كان عندما شاخ سليمان أزاغت نساؤه قلبه وراء آلهة أخرى .

فلم يكن قلبه تامًا مع الرب إلهه كما كان قلب داود أبيه ، لأن سليمان ذهب وراء عشترة إلهة الصيدونيين ووراء ملكوم رجس العمّونيين ، وفعل سليمان الشر في عينيّ الرب ولم يكمل وراء الرب كما كان داود أبيه .

---

(١) نشيد الإنشاد (٧/١ - ١٠) .
(٢) نشيد الإنشاد (٨/١ - ٤) .

فبنى حينئذ سليمان مرتفعة لكموش رجس مواب في الجبل الذي قدام أورشليم ولمولك رجس بني عمّون ، وكذلك فعل لنسائه الغريبات كافة اللائي كن يبخّرن ويذبحن لآلهتهن ، فغضب الرب من سليمان لأن قلبه زاغ عن الرب إله إسرائيل الذي ظهر له مرتين وأوصاه من جهة هذا الأمر أن لا يذهب وراء آلهة أخرى ، لكنه لم يحفظ ما أوصى به الرب ، فقال الرب لسليمان : من حيث إن هذا عندك وما حفظت عهدي وفرائضي التي أمرتك بها فإني أمزق منك مُلكك تمزيقًا » [1] .

فصدرت عن سليمان – بحسب ما يقوله النص – خمس خطيئات :

الأولى : أنه ارتد في آخر عمره الذي هو وقت التوجه إلى الله ، وجزاء المرتد في الشريعة الموسوية الرجم ولو كان المرتد نبيًا ذا معجزات كما هو مصرح به في التوراة [2] .

الثانية : أنه بنى المعابد العالية للأصنام في الجبل قدام أورشليم ، وهذه المعابد كانت باقية مائتي سنة حتى تجسها ، وكسر الأصنام يوشيا بن أمون ملك يهوذا في عهده بعد موت سليمان – عليه السلام – بأكثر من ثلاثمائة وثلاثين سنة [3] .

الثالثة : أنه تزوج نساء من الشعوب التي منع الله من الاتصال بهم والتزوج منهم [4] .

الرابعة : أنه تزوج ألف امرأة وقد كانت كثرة الأزواج محرمة على من يكون سلطان بني إسرائيل [5] .

الخامسة : أن نساءه كن يبخرن ويذبحن للأوثان وقد صرحت التوراة أن من يذبح للأوثان يقتل [6] .

فكان قتلهن واجبًا ، وأيضًا فإنهن أغوين قلبه فكان رجمهن واجبًا كما هو مصرح في التوراة [7] ، لكن لم يجر عليهن الحدود التي فرضها الله ، بل لم يجر تلك الحدود على نفسه أيضًا ، وأيضًا فلم تثبت توبته إلى آخر حياته لأنه لو كان قد تاب لهدم المعابد التي بناها للآلهة .

---

(1) سفر الملوك الأول (11/1 – 11) .
(2) سفر التثنية (13/1 – 5) .
(3) سفر الملوك الثاني (23/24) .
(4) سفر التثنية (7/1 – 4) .
(5) سفر التثنية (17/17) .
(6) سفر الخروج (22/20) .
(7) سفر التثنية (13/6 – 9) .

١١ ـ المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) :

عندما ظهر المسيح ـ عليه السلام ـ ودعا اليهود إلى اتباعه رفض اليهود منذ البداية الإقرار بنبوته والاعتراف بأنه المسيح المنتظر الذي بشرت به التوراة وكتب الأنبياء ، وذهبوا في جحودهم لنبوته إلى أبعد مدى ، فاعتبروه ثائرًا خارجًا على اليهودية يستحق القتل والرجم ومن ثمَّ فقد بدأوا بالكيد له ولأتباعه لدى «بيلاطس» الحاكم الروماني وعقدوا له محاكمة دينية خاصة أمام مجلس السنهدريم أعلى هيئة قضائية في اليهود ووجه إليه اتهام بأنه نبي مزيف ، وأنه كان ساحرًا ، وأنه كان يعلّم بدين جديد ، وكان يحرص على عبادة الله بما لا يتفق مع شريعة موسى ، وأنه كان يقوض الأصول الدينية القومية ، وادعى زورًا أنه المسيا المنتظر ، وادعى زيفًا بأنه ابن الله معادلاً نفسه بالله ، وكان ذلك كله يشكل إهانة لله عقوبتها الموت (١) .

ثم قدموه إلى بيلاطس الحاكم الروماني ليقتله بتهمة إفساد الأمة والامتناع عن أداء الجزية لقيصر والادعاء بأنه المسيح الملك وطالبوه بصلبه (٢) .

ولم يكتف اليهود بذلك في اعتقادهم تجاه المسيح ، بل سبوه وقذفوه بأبشع الاتهامات المخلة بالشرف والكرامة كما صنعوا حيال آبائه وأجداده (٣) :

١ ـ فهم يسمونه باسم « جيشو Jeschu » الذي اقتبس من تركيب الأحرف الأولى للكلمات الثلاث : « إيماش شيمو فيزيكرو Immach Schemo Vezikro » ومعناه : « ليمح اسمه وذكره » .

٢ ـ يعتبرونه :

أ ـ ابنًا غير شرعي ، جاءت به أمه خلال فترة الحيض سفاحًا من الجندي « يوسف پنديرا » قبل زواجها .

ب ـ شريرًا ، لأن روح ايسو Esau دخلت فيه ، بل إنه أصبح ايسو نفسه .

جـ ـ مجنونًا ومخبولاً وأحمق .

---

(١) فرانك ج باول ، محاكمة يسوع المسيح ، ص ١٩ .

(٢) السابق ، ص ١٢ – ١٣٢ .

(٣) الأب آي . بي ، برانايتس ، فضح التلمود ، ص ٥٧ – ٧٥ .

د ـ ساحراً ومشعوذاً تعلم السحر أثناء وجوده في مصر .

ذ ـ وثنياً .

ر ـ مضللاً أفسد إسرائيل وهدمها .

ز ـ مدفوناً في جهنم ، إذ مات كبهيمة ودفن في كومة قذارة .

هـ ـ معبوداً كإله بعد ما قتله أتباعه .

و ـ وثنياً ، لأن المسيحيين يحملون صليبه معهم ويعبدونه داخل بيوتهم .

ي ـ المصلوب الذي لقى ميتة حقيرة بشنقه على الصليب عقاباً له على جرائمه وعقوقه [1] .

٣ ـ أما تعاليمه فهي :

أ ـ كذب إذ يعرّفون الناصري (المسيحي) بأنه الذي يتبع تعاليم كاذبة يبتدعها رجل يدعو إلى العبادة في اليوم الأول التالي للسبت (الأحد) .

ب ـ هرطقة ، إذ يشيرون إلى حواريّ المسيح بأنهم من يبشرون بالهرطقة .

جـ ـ مستحيلة الإدراك ، لأن قانون المسيحيين المكتوب هو : إذا ضربك يهودي على أحد خديك أدر له خدك الآخر أيضاً ، ولا ترد له الصفعة . ولكن أحداً من المسيحيين لم يحافظ على هذا القانون حتى المسيح نفسه لم يتصرف بموجب ما علّمه لغيره ، فحينما ضرب أحدهم يسوع على وجهه لم يدر له خده الآخر ، بل إنه غضب بسبب هذه الصفعة ، وسأل : لماذا تضربني ؟

كذلك حينما أمر الكاهن الأعلى بضرب بولس على فمه لم يُدر هذا خده الآخر ، بل لعنه قائلاً : سوف يضربك الله بقوة .

فإذا كان بولس نفسه لم يستطع إدراك وصية يسوع فمن الذي يستطيع أن يبرهن على ذلك .

د ـ ما جاء في العهد الجديد إثم .

(١) ظفر الإسلام خان ، التلمود ، ص ٦١ – ٦٣ .

١٢ ـ محمد ﷺ :

رفض اليهود منذ البداية نبوة محمد ﷺ ، والإقرار بأنه رسول الله الذي بشرت به أنبياؤهم وأخبرت عنه كتبهم ، وذهبوا في إنكارهم وجحودهم لنبوته إلى أبعد مدى مدعين أن الشريعة لا تكون إلا واحدة وقد ابتدأت بموسى ، وتمت به ، فلا يجوز أن تكون بعده نبوات أو شرائع أخرى لأن النسخ في الأمر والنهي بداء ولا يجوز على الله البداء (١) .

وهم يزعمون (٢) :

١ ـ أن النبي ﷺ قد رأى أحلامًا تدل على كونه صاحب دولة ، وأنه سافر إلى الشام في تجارة لخديجة ، واجتمع بأحبار اليهود ، وقص عليهم أحلامه ، فعلموا أنه صاحب دولة ، فأصحبوه عبد الله بن سلام ، فقرأ عليه علوم التوراة وفقهها مدة .

٢ ـ أن الفصاحة المعجزة التي في القرآن ترجع إلى تأليف عبد الله بن سلام ، وأنه قرر في شرع النكاح أن الزوجة لا تستحل بعد الطلاق الثالث إلا بنكاح آخر ، ليجعل أولاد المسلمين (ممزريم) وهي كلمة واحدها (ممزير) وهو اسم لولد الزنا ، لأن شرع اليهود يقضي بأن الزوج إذا راجع زوجته بعد أن نكحت غيره كان أولادهما معدودين من أولاد الزنا .

٣ ـ أن رسول الله ﷺ مدفون في جهنم حيث تطرح الكلاب والحمير النافقة والنجسين من غير المختونين .

٤ ـ أن للنبي ﷺ اسمين :

أحدهما : (فاسول) ، وتفسيره : (الساقط) .

الثاني : (موشكاع) ، وتأويله : (المجنون) .

٥ ـ أن القرآن هو عورة المسلمين ، لذلك فهم يسمونه فيما بينهم (قالون) ، وهو اسم للسوأة في العبرية .

---

(١) البداء : هو الانتقال عن المأمور به إلى أمر حادث وذلك عن غير علم سابق .

(٢) السموأل بن يحيى المغربي ، إفحام اليهود ، ص ١٤٦ ، ١٥٧ .

الأب آي . بي . براناتيس ، فضح التلمود ، ص ٦٦ - ٦٧ .

ثالثا : التطرف اليهودي في الكتب المقدسة

أنزل الله تبارك وتعالى مع رسله إلى اليهود عدة كتب سماوية لهدايتهم وإرشادهم ، وذلك كالكتب التي أنزلها الله على عيسى وموسى وداود وإبراهيم ـ عليهم السلام ـ وهي : الإنجيل والتوراة والزبور وصحف إبراهيم وموسى .

وقد تطرف اليهود في تلك الكتب واتخذ تطرفهم ثلاثة محاور :

أولها : إنكار بعض تلك الكتب وتكذيبه كما فعلوا مع الإنجيل والقرآن .

الثاني : تحريف بعضها الآخر وذلك كما فعلوا في التوراة وكتب الأنبياء (العهد القديم) .

إذ إن الدراسات المنهجية الغربية الحديثة التي وضعت التوراة الحالية على محك الامتحان والنقد والتمحيص والموازنة انتهت ـ هذه الدراسات ـ إلى نتيجة يقينية جازمة مؤداها :

أن تلك الكتب ليست وحيًا من عند الله ، وليست من وضع موسى ولا الأنبياء من بعده ، وإنما هي من وضع البشر ، من وضع مؤلفين مجهولين ، واجتهد العلماء الغربيون في البحث عن المصادر التي استقى منها أولئك المؤلفون المجهولون مادة هذه الأسفار ، وبعد فحص وتدقيق وتمحيص وضعوا أيديهم على هذه المصادر ، وهي كتب الديانات الوثنية القديمة ، مثل مخطوطات الفكر المصري القديم (أمنوبي) و (إخناتون) وبقوانين (حمورابي) ، ويرى كثير من العلماء الغربيين أن مؤلفي أسفار العهد القديم قد نقلوا نقلاً تامًا من صحف المصريين القدماء وغيرهم ، ووضعوها في أسفارهم وقالوا هي من عند الله [1] .

وقد عكف الفيسلوف باروخ سبينوزا الذي يعتبر أكبر ناقد للتوراة من علماء اليهود على فحص سند العهد القديم بالإضافة إلى جهده في شرح وتحليل الفكر النقدي لابن عزرا في دراسة سند التوراة والذي يمثل في الوقت نفسه رأي سبينوزا ، وكانت نتيجة فحصه كالتالي [2] :

---

(١) الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الله الشرقاوي ، الإيمان ، ص ٢٣٤ .

(٢) سبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٦٦ – ٢٧٦ .

أ ـ الأسفار الخمسة (تكوين ، خروج ، لاويين ، العدد ، تثنية) لا يستطيع أحد أن يؤكد ـ عن حق ـ أن موسى مؤلفها ، بل على العكس يكذب العقل هذه النسبة .

ب ـ سفر يوشع كتب بعد يشوع بقرون عديدة .

جـ ـ سفر القضاة لا يظن شخص سليم العقل أن القضاة أنفسهم قد كتبوه .

د ـ سفر صموئيل كتب بعده بقرون عديدة .

ويلخص تلك النتيجة بقوله : « وبذلك ننتهي إلى أن كل الأسفار التي عرضنا لها حتى الآن قد كتبها مؤلفون آخرون غير الذين تحمل هذه الأسفار أسماءهم ، وأن الروايات التي تتضمنها تقص علينا حوادث قديمة » [1] .

وهناك العديد من الدراسات لعدد من علماء الأديان الغربيين قد توفرت على دراسة كتب العهد القديم [2] :

ففي القرن الخامس عشر كشف الأسقف الأسباني (توستاتوس) بعض النصوص الموضوعة في العهد القديم ، كما أعلن (بودنشتين) سنة ١٥٢٠م أن مؤلف الأسفار الخمسة مجهول .

وفي القرن السابع عشر كانت الأعمال العظيمة للراهب (ريتشارد سيمون) فاتحة خير للنقد العلمي الحديث ، مثل كتابه (التاريخ النقدي للعهد القديم) الذي أكد فيه على صعوبة التسلسل والتكرار والاختلافات في الأسلوب .

وفي القرن الثامن عشر وضع (إيكهارن) سنة ١٧٨١م نظرية البحث عن مصادر الكتاب المقدس ، ووضع (فلهاوزن) نظرية المصادر الأربعة للكتاب المقدس ، ثم شك (فولتير) في أسفار نشيد الأنشاد والجامعة .

ونشطت الدراسات النقدية على أيدي النقاد البروتستانت الذين تأثروا بمدرسة (هيجل) التي روّج لها (أرنست رينان) وأهم كتاب نقدي ظهر في مطلع هذا القرن هو (جوهر المسيحية) لهرناك .

---

(١) سبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٧٦ .

(٢) مقدمة الدكتور حسن حنفي لرسالة سبينوزا ، ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ـ ٢٥ .

د. محمد عبد الله الشرقاوي ، مقارنة الأديان ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، ١١٠ .

ويلخص باحث غربي معاصر هو الدكتور (أوين كول) موقف علماء الغرب اليوم من التوراة فيقول :

« هناك عدد كبير من علماء الأديان الغربيين في القرنين الأخرين يرون أن التوراة إن هي إلا مجموعة من المكتوبات التاريخية الموروثة قد جمعت معًا في كتاب خلال فترة طويلة تصل إلى ستة قرون ، وأن توراة موسى الأصلية قد أدرجت في سفر التثنية الحالي »[1] .

ويقول باحث غربي آخر هو الأستاذ (هري أمرسن فوزدك) مؤكدًا هذا المعنى في محاضرة ألقاها أمام مؤسسة (ليمن بيتشر في جامعة بايل بالولايات المتحدة الأمريكية) :

« إنني منذ سنوات عديدة قد انتقلت من الاعتقاد الساذج البسيط أنه بالإمكان تصديق الأسفار المقدسة كلها على السواء لأنها معصومة من الخطأ ويجب قبول عصمتها هذه دون تفكير أو تردد ، إلى الحقيقة المقلقة أن اعتقادًا كهذا هو خطأ من حيث حقيقته وخطر من حيث نتيجته »[2] .

الثالث : ابتداع كتب جديدة والزعم أنها من عند الله (التلمود) .

ويعتبر التلمود هو المصدر الثاني للتشريع اليهودي والمصدر الأول للسياسة الصهيونية .

ولا يوجد منه إلا عدة مخطوطات قديمة ، منها نسخة (ميونخ) لتلمود بابل التي كتبت عام ١٣٦٩م ، أما تلمود أورشليم فيوجد مخطوط قديم له في (ليدن) .

وحين يقرأ المرء في هذا الكتاب وينظر في خفايا المعتقدات اليهودية ، ويتعرف على هذه المبادىء والأفكار ، يقف على حقيقة مذهلة وهي كما يقول الدكتور جوزيف باركلي :

بعض أقوال التلمود مغالٍ ، وبعضها كريه ، وبعضها الآخر كفر ، لكنها تشكل في صورتها المخلوطة أثرًا غير عادي للجهد الإنساني ، وللعقل الإنساني ، وللحماقة الإنسانية .

---

(١) د. محمد عبد الشرقاوي ، مقارنة الأديان ، ص ١٣٨ .
(٢) هري أمرسن فوزدك ، نظرات حديثة في الكتاب المقدس ، ص ٣٤٦ .
وانظر كتابنا : منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى ، نشر مكتبة التوعية الإسلامية ، وقد عالجنا فيه هذه المسألة بتوسع أكثر .

مع هذا فإنه لا إيمان لليهودي بدون معرفة أحكام التلمود ، على أساس أنه يحتوي على أهم التعاليم التي يحترمها اليهود ، أو يجدون فيها خلاصهم .

إذ يعتقد اليهود أن موسى عليه السلام قد تلقى هذا الكتاب من الله على الجبل كشرح وتفسير شفوي للتوراة ، وقد نقل موسى هذا القانون الشفوي إلى جوشوا Joshua الذي نقله بدوره إلى الشيوخ السبعين الذين نقلوه إلى عدد من الرابيين فظل ينتقل بينهم شفاهة إلى أن قام الرابّي يهوذا هاناسي في القرن الثاني بعد الميلاد بجمع هذا القانون الشفهي في كتاب سمي (ميشناه) أو القانون المساعد .

ويتبين من هذا أن لموسى شريعتين : مكتوبة ، وهي التوراة ، ومروية ، وهي المشناه .

والتلمود معناه التعليم ، وهو يتكون من [1] :

أ ـ المشناه = Mischnah :

وهي الروايات التي تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل ، ويدعون أنها تعاليم شفوية من النبي موسى .

ويعني لفظ (المشناه) الشريعة المكررة ، فهي تكرار لشريعة موسى ، كما يفيد معنى (المتن) أي الأصل ، ويفيد أيضاً معنى المعرفة .

وقد أدخل حاخامات بابل وفلسطين الكثير من الزيادات على تلك التعاليم حتى قام الرابي يهوذا هانسي بجمع تلك الروايات في القرن الثاني الميلادي ، يقول موسى بن ميمون : منذ أيام معلمنا موسى ـ عليه السلام ـ حتى حاخامنا المقدس يهوذا هانسي لم يتفق أحد من أحبار اليهود على أية عقيدة من العقائد التي كانت تدرس علانية باسم القانون الشفهي ، بل كان رئيس محكمة كل جيل ، أو نبيه يضع مذكرة عما سمعه عن

---

(١) راجع : أستاذنا الدكتور/ محمد عبد الله الشرقاوي ، التلمود كتاب إسرائيل الأسود .
- الدكتور/ كامل سعفان ، اليهود تاريخ وعقيدة .
- إبراهيم خليل أحمد ، إسرائيل والتلمود .
- ظفر الإسلام خان ، التلمود .
- الدكتور/ مارتن لوثر ، نفاق اليهود .
- أوجست روهلنج ، الكنز المرصود في فضح التلمود .
- السموأل بن يحيى المغربي ، إفحام اليهود .

سلفه وموجهيه ، لينقلها شفاهة إلى شعبه ، وهكذا ألّف كل عالم من العلماء كتابًا مماثلاً ليستفاد منه ، حسب درجة كفاءته ، إذا كان متمكنًا من القوانين الشفوية وما توصل إليه السابقون من تفسير التوراة والقرارات التي أعلنت في مختلف الأجيال وقررتها المحكمة العليا (السنهدرين) .

ومـــر الزمن هكذا حتى جاء حاخامنا المقدس يهوذا هانسي Rabbi Juda Hannasi الذي جمع لأول مرة كل ما يتعلق بالسنة والأحكام والقرارات ، وشرح القانون المروي عن موسى ـ معلمنا ـ المأمور به في كل جيل .

ولغة المشناهي العبرية الحديثة عليها مسحة من اليونانية واللاتينية ، وأقسام المشنا ستة هي :

١ ـ زيرائيم Zeraim خاص بالقوانين الدينية الزراعية .
٢ ـ موئيد Moed خاص بالأعياد والصيام .
٣ ـ ناشيم Nashim خاص بقوانين النساء .
٤ ـ نزيكين Nazikin خاص بالقوانين المدنية والجنائية .
٥ ـ كوداشيم Kodashim خاص بالقداسة والمقدسات والطقوس الدينية .
٦ ـ توهاروث Toharoth يبحث في قوانين الطهارة والنجاسة .

ب ـ الجمارا = Gemara :

وهي قد تكونت من مناقشات ومناظرات علمائهم حول محتويات المشناه ، وقد جمعت هذه التفسيرات ودونت وأضيفت إلى المشناه كجزء جديد شكل فيما بعد ما عرف باسم « الجمارا » ، وبهذا تمثل الجمارا الشرح والتعليق أو التفسير والحواشي للمشناه وقد ألف الحاخامات هذه الشروح في فترة طويلة تمتد من القرن الثاني إلى أواخر السادس بعد الميلاد .

وأول مَنْ قام بهذه الشروح هما الحاخامان جامايل Gamalie ، وسيميون Simeon ابنا الحاخام يهوذا هاناسي ، ثم وضع هذه الشروح في صورتها النهائية الحاخام Rabina الذي يسمى جوسي Jose سنة ٤٩٨م تقريبًا .

والتلمود نوعان نظرًا لاختلاف المدارس التي وضعت الجمارا :

فأولهما : (التلمود الفلسطيني)

وهو الذي ألف شروح المشناه فيه (الجمارا) علماء اليهود في فلسطين باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة ، واستغرق تأليفهم هذه الشروح فترة طويلة جداً تمتد من القرن الثاني إلى الخامس بعد الميلاد ، وتجمع عادة شروحهم هذه إلى المتن (المشناه) لتشكل ما يعرف بالتلمود الأورشليمي أو تلمود بيت المقدس أو الفلسطيني .

الثاني : (التلمود البابلي)

وهو الذي ألف شروح المشناه (الجمارا) فيه علماء اليهود في بابل باللهجة الآرامية ، وبدأوا فيها منذ أوائل القرن الرابع الميلادي . ولم يفرغوا منها إلا في القرن السادس الميلادي .

وقد احتفى اليهود كثيراً بالتلمود البابلي ، ولم يعتدوا كثيراً بنسخة القدس نظراً لغموضها وشدة اختصارها .

ولأن التلمود كتاب ضخم غير منسق فقد ظهرت حاجة ملحة إلى إيجاد خلاصة وافية له تيسِّر دراسته ، وقد تصدى لهذه المهمة الرابي إسحاق بن يعقوب الفاسي في سنة ١٠٣٢م (٤٢٤هـ) فأصدر تلموداً مصغراً حذف منه المناقشات الطويلة ، ثم أنجز موسى بن ميمون أول عمل منظم لتهذيب التلمود بكامله أسماه (مشناه توراه Mishnah Torah أي إعادة القانون) وقد احتفى اليهود بتلمود ابن ميمون حتى أنهم لقبوا صاحبه باسم (نسر المعبد اليهودي) .

ثم ظهرت سنة ١٣٤٠م نسخة منقحة من هذا الكتاب بإشراف الحاخام يعقوب بن أشير حذف منها الإبداعات الفلسفية والقوانين عديمة الفائدة ، سميت هذه النسخة (الأربعة توريم Arbaa Tarim) أي القوانين الأربعة التلمودية .

وبسبب الخلاف بين شروح كل من الفاسي وابن ميمون نشأت حاجة إلى التوفيق بينهما تسد حاجة اليهود إلى أحكام وحلول موجزة ، وقد بادر إلى الاضطلاع بهذه المهمة حاخام فلسطين (چوزيف كارو ١٤٤٨م – ١٥٧٧م) وذلك بتعليقه على نسخة (أربعة توريم) والذي سمى بـ (شولشان آروخ) .

وقد غدا (شولشان آروخ) في الوقت الحاضر (القانون المدون) الإلزامي عند اليهود والذي يستخدمونه لدراساتهم وأحكامهم الدينية وتنظيم حياتهم .

وترجع أهمية التلمود كما تشير الموسوعة اليهودية إلى أن انحطاط الحياة الفكرية لدى اليهود – وهو الانحطاط الذي بدأ في القرن السادس عشر – جعل أكثريتهم الساحقة تنظر إليه كأنه السلطة العليا حتى أنهم أنزلوا التوراة مرتبة ثانية بعد التلمود .

وفي عبارة التلمود ما يؤكد ذلك ، إذ نجده يصرح : أن مَنْ درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق عليها المكافأة ، ومن درس (المشناه) فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها ، ومن درس (الجمارا) فعل أعظم فضيلة .

ويقول الحاخام روكسي : يا بني التفت إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى (التوراة) .

وجاء في أحد كتب الأحبار الربانيين المسمى (همار) : الإنسان لا يعيش بالخبز وحده ، والخبز هو التوراة ، بل يلزمه شيء آخر هو قواعد وحكايات التلمود .

لهذا أصبح التلمود موضع التقديس ، وصار كما يقول (شاغيجان) : مَنْ احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت ، وليس كذلك من احتقر أقوال التوراة ، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط ، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في توراة موسى .

وقد جاءت وصايا الحاخامات وعلماء اليهود مطابقة لهذا المبدأ ، فقال الربي بشاي : لا يلزم أن تختلط بمن يدرس التوراة والمشناه دون الجمارا . وجاء في كتاب (ميزبيتش Mizbeach) : ليس هناك ما هو أسمى مقامًا من التلمود المقدس .

ولم يكتف الحاخامات بهذا العبث ، بل انتهوا إلى : أن الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء .

وجاء في التلمود : أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله ، وقد وقع اختلاف بين الرب وعلماء اليهود في مسألة ، وبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربانيين ، واضطر الرب أن يعترف بخطئه .

وفيه أيضًا : أن الله لا شغل له في الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة ، ومع ملك الشياطين في مدرسة السماء .

ومن ثمَّ كان عقاب من خالف تعاليم التلمود الحرمان الذي نصه : بناء على حكم إلهنا ، إله الآلهة ، يحرم فلان من المحكمتين ، محكمة أول درجة والمحكمة العليا ، ومن

القديسين والملائكة ، ومن الجمعيات الكبيرة والصغيرة ، ويضار بالقروح والأمراض الخبيثة كلها ، ويكون منزله مسكنًا للجن ، ويكون نجمه مظلماً في السماء ، ومن المغضوب عليهم ، ويطرح جسده للوحوش المفترسة والثعابين ، ويفرح أعداؤه ، ومن يريد له الشر ، وتعطى أمواله من الذهب والفضة لغيره ، وتسقط تلك الأموال تحت سلطة العدو ، ويلعن أولاده حياته ، ويكون ملعونًا من فم عبد بريرون وعشتاربال وضدلفون وعزرائيل وغسيل وباشتيل ، ويسقط ولا يقوم ، ويلفظ من قبور بني إسرائيل ، وتعطى امرأته لغيره ويميل إليها آخرون بعد موته ، ويسقط هذا الحرمان على فلان بن فلان ، ويكون من نصيبه ، أما أنا وبنو إسرائيل فتكون لنا بركة الله وسلامه ، آمين .

والتلمود بعامة يعد أخطر وثيقة ضد الإنسان والإنسانية ، إذ يدعو إلى تحطيم كل العقائد والقيم والحضارات ؛ لإقامة مجتمع عالمي صهيوني يسيطر على كل دول العالم بكل الوسائل الممكنة من الغش والقوة والسلب والخداع والكذب ، كما يستبيح دماء وأموال الأجناس الأخرى ، ويعدهم في منزلة الحيوانات :

ويكفي في شريعة التلمود أن يظهر اليهودي بشكل الحمل الوديع تقية وخداعًا ، ثم ليعتقد ما شاء ، وليفعل ما شاء : « إن الإنسان مهما كان شريرًا في الباطن وأصلح ظواهره ، يَخْلُص» .

وتأكيدًا لمبادىء الاستعلاء اليهودي والتفوق العنصري على بقية الشعوب حث التلمود على اتخاذ الناس عبيدًا ، لأن اليهود هم الشعب الذي اختاره الله دون بقية الشعوب ، فإن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها : « جزء من الله كما أن الابن جزء من والده » ، ومن ثَمَّ كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح ؛ لأن « الأرواح غير اليهودية أرواح شيطانية أو شبيهة بأرواح الحيوانات » .

وقد خلق الله الأجنبي على هيئة إنسان ؛ « ليكون لائقًا بخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم » ، ويرى التلمود أنه « لولا خلق الله اليهود لانعدمت البركة من الأرض ، ولما خلقت الشمس والأمطار ، ولما عاشت بقية المخلوقات » .

كما أن « الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية ، أما باقي الشعوب فمثلهم مثل الحمير » ، أو مثل الكلاب : لأن سفر الخروج يقول : « إن الأعياد المقدسة لم تجعل للكلاب أو الأجانب » ، ولأن إبراهيم الخليل حين توجه ليذبح ابنه إسحاق كان يصحبه

خدمه ، فقال لهم : امكثوا هنا والحمار ، بينما نذهب أنا وولدي إلى الأمام » ، ومن هنا عرف أن غير اليهود حمير .

لهذا نص التلمود على أنه :

ـ « إذا قصد اليهودي قتل حيوان فقتل شخصاً خطأ ، أو أراد قتل وثني أو أجنبي فقتل يهودياً فخطيئته مغفورة » .

ـ و« من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر ؛ لأن من يسفك دم الكافر يقدم قرباناً إلى الله » .

ـ و« من يقتل مسيحياً ، أو أجنبياً ، أو وثنياً ، يكافأ بالخلود في الفردوس والجلوس هناك في السراي الرابعة ، أما من يقتل يهودياً فكأنه قتل العالم أجمع ، ومن تسبب في خلاص يهودي فكأنه خلص الدنيا كلها » .

ـ و« الذي يرتد عن الدين اليهودي يعامل معاملة الأجنبي ، غير أنه إذا فعل ذلك من أجل خداعهم فلا جناح عليه ، لأنه إذا أمكن لليهودي أن يغش أجنبياً ويوهمه بأنه غير يهودي فهو مسموح به ، أما مَنْ اختلط بالمسيحيين ، وعبد مثلهم الأصنام ، فهو منهم ، وينطبق عليه ما ينطبق عليهم » .

ـ و« يجب على اليهودي أن يبذل جهده لمنع امتلاك باقي الأمم للعقار ، وألا يمدحهم أو يصفهم بالحسن والجمال ، ولا يهبهم شيئاً بدون ثمنه » .

وتجسم تلك النصوص التلمودية مدى انعزالية اليهود ، والتأكيد على حقهم في خيرات الأرض وامتلاكهم ما عند الآخرين على أساس أنهم البشر الوحيدون على وجه الأرض .

وبناء على ذلك فقد أصبح لهم الحق في قتل أو استعباد من شاءوا من البشر الآخرين ، دون استعمال الرأفة معهم ، ولا يسمح لليهودي أن يكون مؤدباً مع الكافر ، أو يدعى محبته إلا إذا خاف أذاه ، وإذا ألقى عليه أجنبي السلام هزىء به وسخر منه .

وفي ذلك يقول التلمود :

ـ « إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأممي ماله المفقود » .

- « غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بربا » .
- « إتيان زوجات الأجانب جائز ، لأن المرأة غير الإسرائيلية كبهيمة ، ولا عقد مع البهائم » .
- كما أن « لليهود الحق في اغتصاب غير اليهوديات » .
- « من رأى أحد الأمميين يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر » .
- « مصرح لليهودي أن يغش غير اليهودي ، ويحلف له أيمانًا كاذبة ، بشرط ألا يكشف الأخير غشه ، حتى لا يضر بالدين في عيون الآخرين » .
- « ويجوز لليهودي أن يحلف زورًا ؛ لأن اليمين التي يقسم بها لغير اليهودي لا تعد يمينًا » .
- « سرقة مال غير اليهودي استرداد لأموال اليهود من سالبها » .
- « محرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من باقي الأمم من هلاك ، أو يخرجه من حفرة وقع فيها » .

ويحث التلمود جميع اليهود على بذل جهودهم بمنع وصول غير اليهود إلى السلطة ، حتى يحين الوقت لتولي اليهود إياها ، وإلا فسيظلون مشتتين وأسرى ، لذلك يصرح التلمود في وصايا جامعة :

- اهدم كل قائم .. لوِّث كل طاهر .. احرق كل أخضر ؛ كي ينفع يهوديًا بفلس .
- اقتلوا جميع مَنْ في المدن من رجل وامرأة وطفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير ، بحد السيف .
- اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود .
- العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات كل يوم .

ويزيد التلمود فيحدد أنواعًا من الطهر لا يصل لها اليهودي إلا باستعمال الذبائح البشرية من المسيحيين ، وقضية مقتل الأب توما وخادمه إبراهيم عمار مشهورة ، ففي سنة ١٨٤٠م في دمشق احتال سبعة من كبار اليهود على هذا الأب وخادمه ، وذبحوهما بتدبير من الحاخام موسى أبي العافية والحاخام موسى سلونكلي ، وبأمر من الحاخام

يعقوب العنقابي الذي أوحى إليهم بأنه يلزمه دم بشري لعيد الفصح ، ووقع الاختيار على الأب توما ، لأنه يوجد في حارة اليهود أغلب الوقت ، وساق القدر خادمه يسأل عنه ، فكان صيداً سهلاً من أجل الخبز والفطير الذي لا يعطى عادة إلا للأتقياء من اليهود .

لهذا يرسل من هذا الدم إلى حاخام بغداد ، ليتم الغرض الديني وتتحقق السعادة ، ولأن الدم عند اليهود محرم ، حتى ولو كان دم حيوان ، فقد استثنى التلمود دم الفصح ودم الطهور .

ومن أجل تلك العدوانية الصارخة التي ينطق بها التلمود احتال اليهود لإخفائه عن العالم قروناً طويلة ، وبخاصة عن العالم المسيحي إذ يصف التلمود المسيح عليه السلام بأنه :

- لقيط (ممزير) ابن زنا .

- تعلم ما كان يقوله للناس على يد (يوشوا بن يرخيا) وأن يوشوا حين علم بما يقوله حرمه ، وألقاه بين قرون أربعمائة كبش لتفتك به .

- معجزاته من أعمال السحر الذي تعلمه في مصر .

- هو وأصحابه كذابون ، مخادعون ، سحرة ، مجانين ، حمقى ، مضللون ، لئام ، تافهون ، حقيرون .

- قبل صلبه أعلن في المدينة أن يحضر الذين يريدون الشهادة ببراءته ، فلم يتقدم أحد .

- جاء بكتاب (الإنجيل) هو وثيقة الكذب والخداع .

- ابن امرأة ساقطة ، مصففة شعور ، بغي ، متجولة في الأزقة والأسواق .

ومن هنا فالتلمود في انتظار دائم لظهور المسيح الذي حين يأتي : تطرح الأرض فطيراً وملابس من الصوف وقمحاً حبه بقدر كلاوي الثيران الكبيرة ، وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود ، وكل الأمم تخدم ذلك المسيح ، وتخضع له ، وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه ، وثلاثمائة وعشرة تحت سلطته ، لكن المسيح لا يأتي إلا بعد انقضاء حكم الخارجين عن دين بني إسرائيل .

يقول چنز برج Ginzberg :

لقد أعطى التلمودُ اليهوديَ جنة روحية خالدة يلجأ إليها كيفما شاء هربًا من العالم الخارجي ، بكل ما فيه من حقد ومظالم ، وعلى صفحات التلمود وجدت أجيال اليهود المتعاقبة إشباعًا لأعمق أمانيها الدينية ، وكذلك وجد اليهود في التلمود نافذتهم لأسمى استلهاماتهم الفكرية ، ورغم أن العالم قد انقطع عن قرونه الماضية ، فإن التلمود لايزال بعد التوراة القوة الروحية والأخلاقية المثمرة في الحياة اليهودية .

ويقول إسرائيل إبراهامز :

بقى اليهودي بسبب التلمود ، بينما بقى التلمود في اليهودي .

ويقول الدكتور فابيان :

الحياة اليهودية ـ حتى هذا اليوم ـ مؤسَّسة إلى حد كبير على التعاليم والأسس التلمودية ، فطقوسنا ، وكتاب صلاتنا ، واحتفالاتنا ، وقوانين زواجنا ، بالإضافة إلى قوانين وأسس أخرى كثيرة مستخرجة مباشرة من التلمود ، والتلمود هو الذي تعزى إليه الصفات التي يتميز بها اليهود ، فالاتزان في الشخصية ، والصدق ، ونزعته إلى الحرية الاجتماعية ، وعلاقته العائلية الوطيدة ، وتعطشه للتعليم ، وإمكانياته العقلية ، كلها ترجع إلى التلمود ، فالحياة اليهودية قد تأثرت بهذا الكتاب .

* * *

وقد هوجم التلمود بشدة منذ ظهوره ، على أساس أنه انحرف بالتوراة انحرافًا شديدًا ، وجاء لتلويث دعوة التحرير ، وصنع دينًا جديدًا فيه عنف وعصبية ونقمة على الآخرين :

ففي عام ٥٥٣م قرر القيصر چستنيان مصادرته ، ثم جاءت الكنيسة واقتفت أثر القيصر ، واستمرت الكنيسة والدولة تتعقبانه ، مصادرة وحرقًا وإتلافًا ، قرابة ألف عام ، باعتباره أهم مصدر للتعاليم اليهودية التي أدت إلى مقاومة اليهود للسلطة والدين المسيحي ، سرًا وعلانية .

واشتدت حملات الملوك والبابوات ضد التلمود ، منذ القرن الثالث عشر ، وصدرت الأوامر بإتلاف نسخة في فرنسا من سنة ١٢٤٤ إلى ١٢٧٠م ، كما حدث ذلك في إنجلترا

سنة ١٢٩٠م ، حين أمر الملك بطرد اليهود من البلاد ، بعد أن اكتشف حيلهم ومكرهم ومقتهم للشعب الإنجليزي المسيحي .

وفي أواخر العصور الوسطى لم يحرق التلمود ، واكتفت السلطة الحاكمة والكنيسة بالرقابة على طبعه ، فأجازت تداول نسخ معدودة بعد حذف فصول عديدة .

وقد عقدت مناظرة كبرى بين بابلو كريستياني والحاخام موسى بن نحمان ، في برشلونة سنة ١٢٦٣م ، فاقتنع البابا مكيمنت بأخطاء التعاليم التلمودية ، فأصدر مرسوماً بتحريم قراءة التلمود أو حيازته ، ومصادرة ما وجد من نسخه ، كما فرض رقابة على طبع نسخ جديدة ، وأعاد تنفيذ القانون الذي كان لويس الحادي عشر قد أصدره ، وهو يلزم اليهود بوضع علامة مميزة على أكتافهم .

وجرت محاكمة عادلة في عهد الملكة بلانش ، في ٢٤ يونية ١٢٤٠م ، اعترف فيها اليهود بكثير من معتقداتهم الخطيرة ، وكان مما ترجم من التلمود في هذه المحاكمة :

إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم ، بين الزفت والقار ، وإن أمه مريم أتت به من العسكري پندارا ، بمباشرة الزنا ، وإن الكنائس النصرانية هي بمثابة القاذورات وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة ، وإن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها ، وإن العهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم القيام به ، وإن من الواجب أن يلعن يومياً ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني ، وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بني إسرائيل .

وبالإضافة إلى تلك التعاليم الحاخامية يقف التلمود من المرأة موقفاً متشدداً ، فهو ينتقصها ، ولا يلحقها بالمدارس الدينية ، بل يحرم التلمود المرأة كثيراً من الحقوق ، حتى بات دعاء اليهودي إلى ربه على مرأي ومسمع من زوجته وبناته : حمداً لله أنه لم يخلقني امرأة .

وفي التلمود لا يدخل الجنة اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتل يهود آخرين ، وإنما : تدخل أرواحهم في النباتات والحيوانات ثم تذهب إلى الجحيم ، وتضرب عذاباً أليماً مدة اثنى عشر شهراً ، ثم تعود ثانية لتدخل في النباتات والحيوانات ، ثم ترجع إلى جسد يهودي بعد تطهيرها .

كما يؤكد التلمود أن غير اليهود نجسون ، ولا يمكن لليهودي أن يدخلهم بيته ، أو يأكل معهم ، وليس له أن يعاملهم إلا بغرض التجارة .

ويزعم التلمود أن سبب نجاسة الأجانب أنهم لم يقوموا على جبل سيناء بعد أن نجس إبليس حواء ، أما الإسرائيليون فقد تطهروا وحدهم بوقوف آبائهم على هذا الجبل .

كما أنهم يعتقدون أن أرواح اليهود مصدرها روح الله ، أما باقي الأمم فمصدر أرواحها الروح النجسة .

ويعتبر الحاخامُ (إيل) الخارجين على ديانة اليهود خنازير نجسة تسكن الغابات ، وجب على المرأة أن تعيد الاغتسال إذا رأت عند خروجها من الحمام شيئًا نجسًا ، ككلب ، أو حمار ، أو جمل ، أو خنزير ، أو مجنون ، أو آدمي غير يهودي .

ويذخر التلمود بشتى الخرافات ، كالتنجيم وطقوس السحر والشعوذة والعرافة ، ويؤكد أن الأرواح الشريرة والشياطين والجنيات من ذرية آدم ، وهم يطيرون في كل اتجاه ، ويعرفون أحوال المستقبل باستراق السمع عن السماء ، وهم يأكلون ويشربون مثل الإنسان ، ويكثرون من جنسهم ، وبعض الشياطين يسكن الهواء وهؤلاء يسببون الأحلام للإنسان ، وبعضها يسكن قاع البحر ، وهؤلاء إذا تركوا وشأنهم تسببوا في خراب الأرض ، وبعض الشياطين تسكن أجسام اليهود المعتادين ارتكاب الخطايا .. ويحب الشيطان الرقص بين قرني الثور في المربط ولهذا يمنع الناس من أن يركبوا ظهور الثيران التي كانت مربوطة في كشك داخلي ، كما يمنع الناس من أن يسلموا على أصدقائهم في الليل ، خوفًا من أن يسلموا على الشيطان ، وعلى كل شخص أن يغسل يديه بعد الفجر ؛ لأن الروح الشريرة تستريح على الأيدي القذرة ، كما أن على الناس أن يريقوا بعض الماء من الإناء قبل أن يشربوا منه خشية أن تكون الأرواح الشريرة شربت منه .

ويعلل التلمود كون الشياطين بلا أجسام وملابس بأن الله خلق الشياطين يوم الجمعة عند الغسق ، فأعجله يوم السبت عن أن يتم خلقهم .

ويؤكد أن الشياطين لا قوة لها على من يقرأون التلمود ، ويعكفون على دراسته .

وهناك قصص وخرافات لا نهاية لها من معجزات الحاخامات وأساطير الأفاعي والضفادع والأوز والطيور والأسماك .

ويرى التلمود أن الله خلق آدم ذا وجهين رجلاً من ناحية وامرأة من ناحية ، ثم قطعه من النصف ، وأن طوله كان يصل إلى القبة الزرقاء ، ولكن بعد خطيئته وضع الله يده على رأس آدم وكبسه حتى صار صغيراً وأنه أتى الخطيئة في الساعة العاشرة بعد خلقه ، ثم طرد من الجنة في الساعة الثانية عشرة .

ويذكر التلمود أن هدم وتشريد بني إسرائيل كان خطأ ارتكبه الله ، واعترف به ، وندم عليه ، وحاول التكفير عنه بتخصيص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم .

ومن حكم التلمود وآدابه :

- كل من يعلّم أمام أساتذته يستحق أن تلدغه حية .
- الرجل الذي في سلته خبز ليس كالذي لا شيء في سلته .
- الأجدر بك أن تكون رأس ثعلب من أن تكون ذنب أسد .
- الخلاعة في بيت مثل دودة في يقطينة .
- صديقك له صديق ، وصديق صديقك له صديق ، فكن حصيفًا .
- الولد الطالح للأب الصالح كالخل من الخمر .
- الشباب تاج الورود ، والشيخوخة تاج الأشواك .
- كثيرون يعظون جيداً ، لكنهم لا يعملون جيداً .
- عقاب الكاذبين أنه لا يصغي إليهم عندما يصدقون .
- المغرور عابد وثن .
- كل من يتفقد ممتلكاته كل يوم يجد قطعة من النقود .
- المنصب لا يشرف الإنسان ، الإنسان يشرف المنصب .
- ليس الاعتبار بما تقوله عن نفسك ، لكن بما يقوله أصدقاؤك عنك .
- الصدقة ملح المال .
- دع السكران يذهب وحده ؛ ليسقط وحده .
- الأجدر بك أن تكون ملعونًا من أن تصبح من اللاعنين .
- هذا العالم مثل منزل على الطريق ، والآخرة هي البيت الحقيقي .

- الطفل يحب أمه أكثر من أبيه ، لكنه يخاف أباه أكثر من أمه .
- البيت الذي لا يفتح بابه للفقير سيفتح بابه للطبيب .
- اهبط خطوة عند اختيار الزوجة ، واعلُ خطوة عند اختيار الصديق .

* * *

هذا ويقال إن النسخة العبرية الأصلية من تلمود بابل يجرى إعادة طبعها الآن في إسرائيل ، ويقوم على ذلك الحاخام أدين شتانيزالتز ، وسيطبع منها ستة آلاف نسخة ، توزع بسعر رمزي على المشتركين فقط .

* * *

وقد وُجه التلمود بسهام النقد من دعاة حركة الاستنارة اليهودية ، الذين اعتبروا أنه لا أمل يرجى في تطور اليهود إلا بالإطاحة بسلطة التلمود ، وكانوا كثيراً ما يوجهون نظر الحكومات إلى ضرورة القضاء على هذا الكتاب الضار ، بسبب مبالغاته عن اليهود وتصعيده لأوهامهم عن أنفسهم ، ولكن الحاخامات الأرثوذكس وكل دعاة السيطرة على قلوب الجماهير اليهودية وعقولها تدافع دفاعاً مستميتاً عن التراث التلمودي ، بالرغم من العزلة الوجدانية والروحية والعقلية التي ضر بها التلمود على اليهود ، حتى أن أحد الشعراء الألمان سماه « وطن اليهود المتنقل » .

رابعا : التطرف اليهودي في الأديان :

أخذ تطرف اليهود في موقفهم من الأديان المخالفة صبغة عنصرية خالصة فهم يقسمون العالم قسمين : يهود ، وغير يهود . ويطلقون على من سوى اليهود اسم « الأمميين » .

وتعتبر هذه العنصرية الأساس الثاني للديانة اليهودية، إذ يقول الدكتور هربرت لوي اليهودي وأستاذ اللغة العبرية بجامعة أكسفورد : « إن اليهودية تقوم على أساسين هما وحدانية الله واختيار إسرائيل »[1] .

وقد سبق الحديث عما آلت إليه عقيدة التوحيد على يد اليهود ، ويهمنا الآن بيان الأساس الثاني لليهودية الذي ينص على أن الله قطع وعداً لإبراهيم بأن يفضِّل الشعبَ اليهوديَ على جميع الأجناس ، تقول التوراة :

ـ « وأقيم عهدي بيني وبينك ، وبين نسلك من بعدك مدى أجيالهم عهد الدهر ، لأكون لك إلهًا ، ولنسلك من بعدك ، وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك ، جميع أرض كنعان ، ملكًا مؤبدًا ، وأكون لهم إلهًا ، وقال الله لإبراهيم : وأنت فاحفظ عهدي ... أنت ونسلك من بعدك مدى أجيالهم . هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم ، وبين نسلك من بعدك ، يختن كل ذكر منكم »[2] .

ـ « أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب ، تكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب ، وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي »[3] .

ـ « إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك ، إياك قد اختار الرب إلهك ، لتكون له شعبًا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم ، ولا لأنكم أقل من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم »[4] .

---

(١) نقلاً عن الدكتور أحمد شلبي ، اليهودية ، ص ٢٠٨ .
(٢) سفر التكوين (١٧/٢ - ١١) .
(٣) سفر اللاويين (٢٠/٢٤ - ٢٦) .
(٤) سفر التثنية (٧/٦ - ٨) .

وقد بالغ التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون في تبيان وتأكيد أفضلية اليهود واختيارهم ، فذكرا أن الفرق بين الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وبين سائر البشر، وقررا أن لليهود وحدهم الحياة الأبدية ، وأن أرواحهم من روح الله دون سائر الشعوب .

ويرجع اليهود مصدر هذا التميز والاختيار والاصطفاء اليهودي إلى أن الله ـ تعالى عن ذلك ـ عندما تجلى لموسى ولبني إسرائيل في سيناء قد تم الزواج بين الله وبين إسرائيل ، وسُجِّل عقد الزواج بينهما ، وكانت السماوات والأرض شهوداً لهذا العقد [1] .

ويمكن إجمال النظرية العنصرية اليهودية فيما يلي [2] :

أولا : أن الله قد اختار الجنس اليهودي ـ باختياره إبراهيم ـ ليكون منه شعب الله المختار .

ثانيًا : أنه قد أعطى ميثاقه لهذا العنصر ، وهو ليس عقداً بل عهداً ، لأنه من جانب واحد ، وهو عهد أزلي لا ينقض .

ثالثًا : أنه تنفيذاً لهذا الميثاق أخرج الله العنصر اليهودي من مصر ، وأنقذه من فرعون ، وأهلك أهل فلسطين من أجله ، وأسكنهم أرضهم ، وملكها لهم .

رابعًا : أنه قد اختار داود ليحقق به هذا العهد بإنشاء دولة داود ، وجدد له هذا العهد بأن هذه الدولة الإلهية لن تزول ، وبذلك جعل الله للعنصر المختار ملكًا وأرضًا ودولة ، هي هذا الملك ، وهذه الأرض ، وهذه الدولة .

خامسًا : أن هذا العنصر اليهودي قد انحرف وضل الطريق ، فأفلت منه الملك وآل للأمم ، ولكن هذا الملك لله أولاً وأخيراً ، ولقد قضى الله منذ الأزل أنه من نصيب شعبه ، ومن ثَمَّ فلا خوف من ضياعه .

سادسًا : أن هذا العنصر المختار سيظل يتطلع إلى أن يعيد الله هذا الملك لهذا الشعب كما قضى في كتابه ، وسيكون تطلع هذا الشعب لإعادة هذا الملك بكل عقله وقلبه .

سابعًا : أنه لا يشك للحظة أنه سيستعيده ، وهو لابد مسترجعه ، لأنه لم ينحرف كله ، فهناك بقية منه صالحة ، وبها يصدق وعد يهوه بأن ملك العنصر اليهودي ، الذي هو ملك الله ، لن يزول .

---

(١) د. أحمد شلبي ، اليهودية ، ص ٢٠٩ .

(٢) د. محمد عبد الله الشرقاوي ، التلمود كتاب إسرائيل الأسود ، ص ٨٤ .

ثامنًا : أنه يتبقى أن يترجم الشعب هذا الأمل إلى حقيقة بالإرادة الفعالة والعمل الإيجابي المخطط المنظم الدؤوب .

ولم يكن أمام اليهود إلا أن يعتبروا مخالفيهم خدمًا وأدوات لتحقيق ذلك الأمل المنشود ، والطريق الوحيد لترجمة ذلك الاعتقاد هو فلسفة القوة والعدوان والقسوة والبطش بالمخالفين .

ولذلك تطبع التوراة العقيدة اليهودية برباط وثيق بين الحرب من جهة وبين اليهود وربهم من جهة أخرى ، إذ يصبح هذا الرب هو رب الجنود الذي يمهد سبيل اليهود لتحقيق مآربهم في الغزو والاحتلال وقهر الشعوب .

فتصف التوراة الرب بأنه «رجل الحرب» [1] وأنه هو الذي يوحى إلى موسى بخطط الحرب والخديعة فيأمره بالتجسس وجمع المعلومات قبل الهجوم . تقول التوراة : « ثم كلم الرب موسى قائلاً : ارسل رجالاً ليتجسسوا على أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل » [2] .

ولما كان رب اليهود قاسيًا عنيفًا مدمرًا كما عرفنا من خلال عقيدتهم في الألوهية فإن السياسة الحربية التي وضعها لهم ليسيروا على هديها قوامها العنف والقسوة والوحشية الحيوانية تجاه المخالفين .

فتوصي التوراة اليهود : « فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة » [3] .

ويوصي رب اليهود موسى : « وحين تقرب مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاها الرب إلهك .

---

(١) سفر الخروج (٣/١٥) .
(٢) سفر العدد (١/١٣) .
(٣) سفر العدد (١٧/٣) .

هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هذه الأمم هنا . وأما مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما » [1] .

وقد تشرب الوجدان اليهودي تعاليم سياسة العنف والإرهاب والقسوة والوحشية التي تلقوها من « يهوه » رجل الحرب ، حتى صارت الوحشية والقسوة والدموية والبغض والكراهية أبرز ما يميز علاقة اليهود بمخالفيهم من الأمم ، ويصور بن جوريون تلك الحقيقة في الشعار الذي طرحه : « بالدم والنار سقطت يهوذا ، وبالدم والنار ستقوم يهوذا » [2] .

---

(١) سفر التثنية (٣٠/١٠ - ١٦) .

(٢) د. رشاد عبد الله الشامي ، الشخصية اليهودية ، ص ١٨٤ .

اليهود والمسيحية

عندما ظهر المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ ودعاهم لاتباعه ، رفض اليهود منذ البداية الإقرار بنبوته ، والاعتراف بأنه رسول الله إليهم . وذهبوا في جحودهم له إلى أبعد مدى ، ووصفوه ، وسبوه ، وقذفوه ، بما قد عرضناه عند الحديث عن تطرفهم في الأنبياء .

أما أتباعه المسيحيون فلم يكونوا أوفر حظًا من نبيهم ـ عليه السلام ـ فنالتهم سهام التطرف اليهودي وسياطه حتى أدمت نفوسهم وأجسادهم ، فيعتقد اليهود أن المسيحيين [(١)] :

١ – وثنيون .

٢ – أسوأ من المسلمين .

٣ – قتلة .

٤ – زناة .

٥ – نجسون .

٦ – ليسوا كالبشر ، بل هم بهائم .

٧ – يختلفون شكلاً فقط عن البهائم .

٨ – حيوانات .

٩ – أسوأ من الحيوانات .

١٠ – يتناسلون كالبهائم .

١١ – أبناء الشيطان .

١٢ – أرواح شريرة ونجسة .

١٣ – يذهبون إلى الجحيم بعد الموت .

١٤ – كهنتهم عرافون .

---

(١) الأب آي . بي . براناتيس ، فضح التلمود ، ص ٨٥ – ١٤٩ .
ظفر الإسلام خان ، التلمود ، ٥٨ – ٦٣ .
أوجست روهلنج ، الكنز المرصود ، بتحقيق الدكتور محمد الشرقاوي ، ص ٢٣٢ – ٢٣٨ .

١٥ - كنائسهم بيت الباطل .

١٦ - كؤوس قربانهم أوعية فحش تقدّم قربانًا لصنم .

١٧ - كتبهم المقدسة كتب الهرطقة ومجلدات الشر .

١٨ - صلواتهم خطيئة ، وطيش ، وإثم .

١٩ - أعيادهم أيام محن وكوارث .

أما أسلوب معايشتهم والتعامل معهم فيرى اليهود أن يكون على هذا النحو التالي :

١ - يجب تجنب المسيحيين .

٢ - على اليهودي أن لا ينقذ مسيحيًا .

٣ - على اليهودي ألا يرد على تحية المسيحي .

٤ - على اليهودي ألا يمثُل أمام قاض مسيحي .

٥ - لا يجوز قبول مسيحي شاهدًا أمام القضاء .

٦ - لا يجوز لليهودي أن يأكل طعامًا مسيحيًا .

٧ - على اليهودي ألا يحاكي المسيحي في أي عمل .

٨ - على اليهودي ألا يستعمل أي شيء يتعلق بالديانة المسيحية .

٩ - محرم بيع اليهودي للمسيحيين أي شيء يتعلق بديانتهم الوثنية .

١٠ - محرم على اليهودي التعامل مع الفئات التالية من المسيحيين :

* المعلمين .   * الأطباء .   * الحلاقين .

١١ - يجب إفناء المسيحيين .

١٢ - يجب الامتناع عن نفع المسيحيين بالوسائل التالية :

* لا يجوز الثناء على المسيحي .
* لا يجوز لليهودي الإشارة إلى الأشياء التي يستعملها المسيحيون في طقوسهم الوثنية .
* يجب التلفظ بأوثانهم في ازدراء .
* محظور على اليهودي منح هبات للمسيحيين .
* محرم على اليهودي بيع أرضه للمسيحيين .
* محرم تعليم التجارة للمسيحيين .

١٣ - يجب الإضرار بأعمال المسيحيين على النحو التالي :

* يجب ألا يشي أحد إذا دفع المسيحيون أكثر مما ينبغي ليهودي .
* المفقود الذي يخص المسيحيين يجب ألا يعاد إليهم .
* يجوز الاحتيال على المسيحيين .
* يستطيع اليهودي التظاهر بالمسيحية للاحتيال على المسيحيين .
* يجوز لليهودي التعامل بالربا مع المسيحيين .

١٤ - يجب الإضرار بالمسيخيين في المسائل الشرعية التالية :

* يستطيع اليهودي الكذب والحلف بيمين كاذبة لإدانة مسيحي .
* يستطيع اليهودي أن يحلف يمينًا كاذبة بضمير صافٍ .

١٥ - يجب الإضرار بالمسيحيين على صعيد الأمور الحياتية التالية :

* على اليهودي محاولة خداع المسيحيين دائمًا .
* يجب الامتناع عن مساعدة امرأة مسيحية عند مخاضها .
* يجب الامتناع عن مساعدة مسيحي يواجه خطر الموت .

١٦ - يجب قتل المسيحيين على الوجه التالي :

* يجب قتلهم دون رحمة .
* يحكم بالموت على اليهود الذين يتحولون إلى المسيحية .
* يجب قتل زعماء وحكام الفاتيكان .
* اليهودي الذي يقتل مسيحيًا لا يقترف إثمًا ، بل يقدم إلى الله أضحية مقبولة .
* الأضحية الوحيدة الضرورية بعد هدم الهيكل هي إفناء المسيحيين .
* الذين يقتلون المسيحيين سيحتلون مكانًا ساميًا في الجنة .
* على اليهود ألا يكفوا عن إبادة المسيحيين وألا يدعوهم في أمان وألا يخضعوا لهم .
* لا يحول أي عيد ولا أية مسألة مهما كانا مقدسين دون ضرب عنق مسيحي .
* الهدف الوحيد من جميع أنشطة وصلوات اليهود هو تحطيم الديانة المسيحية .

وقد سعى اليهود بجدية ودائب دائمين إلى وضع معتقداتهم تجاه المسيح والمسيحيين موضع التطبيق والتنفيذ :

فبدأوا بالكيد للمسيح وأتباعه لدى « بيلاطس » الحاكم الروماني ، واتهامه بالثورة والهرطقة والخروج على تعاليم الدين اليهودي ، وقدموه إلى المحاكمة ، وظلوا بالحاكم حتى أصدر حكمًا بصلبه ، ولم يستكينوا حتى نفذ الحكم وصلب المسيح ، كما يزعمون هم والمسيحيون .

وبعد الانتهاء من قتل المسيح - بزعمهم - أخذوا في التنكيل بأتباعه . فهذا شاول الفريسي (بولس) من فرسان اليهود والذي أصبح فيما بعد من رسل المسيحية بعد أن احتال على اتباع المسيح وأوهمهم بدخوله المسيحية وفق ما يحكيه سفر أعمال الرسل [1] :

« فأما شاول فاستمر بعد يزفر تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب فذهب إلى رئيس الكهنة ، وسأل كتبًا إلى دمشق إلى المجامع حتى إذا كان يجد رجالاً أو نساءً من هذه الطريقة يأتي بهم إلى أورشليم موثقين ، ولما كان منطلقًا وقد قارب دمشق سطع حوله بغتة نور من السماء ، فسقط على الأرض وسمع صوتًا يقول له شاول ، شاول ، لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا رب ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذي تضطهده أنت ، إنه لصعب عليك أن ترفس المهماز ، فقال وهو مرتعد متحير يا رب : ماذا تريد مني أن أفعل ؟ فقال له الرب : قم وانطلق إلى المدينة ، فيقال لك ما يجب أن تفعل ، ووقف الرجال المسافرون معه ساكتين يسمعون الصوت ولكن لا يرون أحدًا ، فنهض شاول من الأرض ولما انفتحت عيناه لم ير أحدًا فاقتادوه بيده وأدخلوه دمشق ، فلبث ثلاثة أيام لا يبصر ولا يأكل ولا يشرب .

وكان بدمشق تلميذ اسمه حنانيا قال له الرب في الرؤيا : يا حنانيا ، فقال : ها أنا يا رب ، فقال له الرب : قم وانطلق إلى الزقاق الذي يسمّى المستقيم وابحث في بيت يهوذا عن رجل من طرسوس اسمه شاول وهو ذا يصلي ، وقد رأى في الرؤيا رجلاً اسمه حنانيا داخلاً إليه وواضعًا يده عليه ليبصر ، فأجاب حنانيا : رب إني سمعت من كثير عن هذا الرجل كم قد فعل بقديسيك من الشر الكثير بأورشليم ، وإن له ها هنا أيضًا سلطانًا من رؤساء الكهنة على أن يوثق كل من يدعو باسمك .

---

(١) سفر أعمال الرسل (٩/١ - ١٤) .

فقال له الرب : انطلق فإنه لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام الأمم والملوك وبني إسرائيل » .

وقد دبر اليهود خططًا رهيبة لتدمير الكنيسة في أوربا ، وإثارة الفتن والحروب ، وتأليب الطبقات بعضها على بعض ، ونشر الفساد والإلحاد والانحلال .

ففي عام ١٧٨٥م أرسلوا فارسًا من « فرانكفورت » إلى « باريس » حاملاً معلومات مفصلة عن خطط اليهود الإجرامية ، وشاءت إرادة الله أن تنقض صاعقة لتقتل هذا الفارس وتكشف هذه المؤامرات أمام حكومة « بافاريا » .

وبعد سنوات عديدة كشف النقاب عن المخططات الرهيبة المتضمنة في الوثائق المعروفة باسم « بروتوكولات حكماء صهيون » .

وقد أجمعت الدراسات التي قام بها لفيف من العلماء المتخصصين في الشؤون اليهودية والتي نشرت في مجلة « ديربورن المستقلة » ثم جمعت في كتاب بعنوان «اليهودي العالمي» :

على أن اليهود أفسدوا الحياة العامة في أمريكا على وجه الخصوص ، ودمروا الأخلاق والقيم باحتكار تجارة الخمور ، والبغاء ، والأزياء الماجنة ، والأفلام الوضيعة ، والآداب الساقطة ، عبر مخطط مدروس .

ويبشر البروتوكول السابع عشر من بروتوكولات حكماء صهيون باقتراب تحقيق الهدف اليهودي المنشود ، فجاء فيه ما نصه : « لم يبق على النتيجة إلا مسألة وقت ، عندما ينهار الدين المسيحي إنهيارًا كاملاً » .

وحينما استتب الأمر لليهود وأصبحت لهم دولة على الأرض الإسلامية بفلسطين لم تنج المقدسات المسيحية بفلسطين من نيران التطرف اليهودي ، فقد انتهكت هذه المقدسات بعدة اعتداءات متواصلة ضد عدد من الكنائس المسيحية ، ومن بينها كنيسة القيامة ، ودير الأقباط ، كما مارس اليهود ضغوطًا على رجال الدين المسيحي للتنازل عن أملاك وأراضي كنائسهم بالشراء أو بإيجارات طويلة الأجل . الأمر الذي سلب العديد من الكنائس المسيحية الكثير من أملاكها [1] .

---

(١) مجلة شؤون عربية ، العدد ٤٠ ديسمبر ١٩٨٤م ، ص ٢٢٤ .

إلا أن الأمر العجيب حقًا والمثير للدهشة والحيرة والغرابة في نفس الوقت أن اليهود قد استطاعوا – على الرغم من كيهم للمسيحيين بنيران التطرف ، وسبهم وقذفهم للمسيح وافترائهم عليه وزعمهم قتله – أن يدفعوا المسيحيين إلى تبرئة اليهود من دم المسيح وقتله في إعلان مهيب صادر من قيادة العالم المسيحي الدينية بالفاتيكان ، ذلك الإعلان الذي يقضي على المسيحية برمتها والتي تقوم على أساس قضية الصلب والفداء ، مما يجعل ما يردده المسيحيون في أناجيلهم من نزول المسيح الإله وتجسده في صورة بشرية كي يقتل ويصلب فداء للبشرية من خطيئة آدم عليه السلام ، وأن الذي قدمه إلى الصليب والمسؤول عن دمه هم اليهود ، يجعل كل ذلك إما كذبًا من كتاب الأناجيل أو القول بعدم جدوى صلب المسيح ومن ثمَّ المسيحية التي أساسها الفداء والتضحية .

والأكثر عجبًا أن اليهود لم يكتفوا بتبرئة أنفسهم من قتل المسيح والتي تقوض المسيحية من أساسها ، بل دفعوا المسيحيين إلى الإيمان بالعهد القديم ، على الرغم من اعتقاد المسيحيين أن المسيح جاء بشرع جديد ينسخ ما قبله لذلك أطلقوا على أناجيلهم اسم (العهد الجديد) تمييزًا له عن أسفار موسى والأنبياء من بعده والتي نزلت إلى اليهود .

وقد كللت جهود اليهود بالنجاح إذ اضطروا المسيحيين إلى طباعة العهد القديم جنبًا إلى جنب مع العهد الجديد في مجلد واحد أطلقوا عليه اسم (الكتاب المقدس) .

أضف إلى ذلك نجاح اليهود المثير للدهشة في تسخير قوى العالم المسيحي لتكوين دولة لليهود في فلسطين ، وتكفله بتوفير الحماية الكاملة سياسية كانت أم اقتصادية أم عسكرية للدولة اليهودية لإجبار العالم على وجه العموم والمسلمين أصحاب الأرض على وجه الخصوص على الخضوع والتسليم بالحدود اليهودية التي رسمها ذلك التحالف الشيطاني .

عندما بعث رسول الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ إلى العالمين بشيرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، لم ينج – شأنه شأن إخوته من الأنبياء – من سهام التطرف اليهودي .

فرفض اليهود الإقرار بنبوته ، والاعتراف بأنه رسول الله الذي بشرت به أنبياؤهم ، وأخبرت عنه كتبهم ، وكانوا يتوعدون به أهل يثرب ، ويهددونهم بالإبادة على يديه .

وذهبوا في إنكار نبوته وجحودهم له إلى أبعد مدى ، فاتهموه بالكذب وادعاء النبوة التي تمت حلقاتها بموسى فلا يجب أن تنسخ من بعده .

وأنه اجتمع بأحبار اليهود ، فأصحبوه عبد الله بن سلام الذي أقرأه التوراة وعلومها ، وأن الفصاحة المعجزة التي في القرآن ترجع إلى تأليف عبد الله بن سلام وهو الذي قرر في شريعة النكاح أن الزوجة لا تستحل بعد الطلاق الثالث إلا بنكاح آخر وذلك ليجعل أولاد المسلمين أولاد زنا حسب شرع التوراة الذي يقضي بأن الزوج إذا راجع زوجته بعد أن نكحت غيره عُدَّ أولادهما أولاد زنا .

كما أن الرسول – بزعمهم – مدفون في جهنم حيث تطرح الكلاب والحمير النافقة ، وأن اسمه المتداول بينهم هو :

(فاسول) وتفسيره : (الساقط) .

و (موشكاع) ، وتأويله : (المجنون) .

وأن القرآن عورة المسلمين ؛ لذلك فهم يسمونه فيما بينهم (قالون) وهو اسم للسوأة في العبرية .

وراح اليهود يدبرون الخطط ويحيكون المكائد لقتل رسول الله ﷺ كما فعلوا بأنبيائهم من قبل ، فعزم بنو النضير على قتله ﷺ بإلقاء صخرة من فوق المنزل الذي كان يجلس إليه ﷺ حينما ذهب إليهم يستعين بهم في دية قتيليّ بني عامر [1] ، لولا أن الله تبارك وتعالى أوحى إليه بمخططهم ، وما يعزمون عليه .

---

(١) سيرة ابن هشام (٣/٢٣٢) .

وكذلك حاولوا قتله ﷺ بالشاة المسمومة التي قدمت إليه في غزوة خيبر [1] .

ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم لم تخمد نيران التطرف اليهودي الموجهة للإسلام والمسلمين ، والتي يكتوي بها المسلمون في الأراضي العربية التي يعتبرها اليهود حدوداً لدولتهم الكبرى .

فمنذ قيام دولة إسرائيل اليهودية عام ١٩٤٨م على الأراضي الإسلامية واليهود يوجهون ضرباتهم المتتالية ضد الإسلام والمسلمين ومقدساتهم وفق السياسة التي اتفقوا عليها تجاه المسلمين والتي عبر عنها مناحم بيجن في قوله :

« نحن نحارب ، فنحن إذن موجودون ، بالدم ، والنار ، والدموع ، والدخان ، وبنوع جديد من الإنسانية ، نوع مجهول للعالم منذ أكثر من ألف وثمانمائة عام : اليهودي المحارب . قبل كل شيء يجب أن نبدأ الهجوم ، فمن الدم والعرق سوف يولد جيل فخور، كريم ، قوي » [2] .

وليتأمل من شاء معالم المشروع الشيطاني اليهودي لاستئصال المسلمين من أبناء فلسطين ، والإبادة الجماعية لهم ، والتصفية الجسدية لقياداته فتجرى دماؤهم في كل مكان :

١ ـ قبل قرار تقسيم فلسطين كان (الهاجانا) أثناء هجومهم على القرى الفلسطينية يضعون أولاً وبهدوء شحنات متفجرة حول المنازل المبنية من الحجارة ، ويبللون إطارات النوافذ والأبواب بالبنزين ، ثم يفتحون نيران مدافعهم في نفس الوقت الذي ينفجر فيه الديناميت ويشتعل البنزين ، فيحرق السكان النائمون حتى الموت دون أن يتمكنوا من الحركة [3] .

٢ ـ في ٩ إبريل عام ١٩٤٨م بقرية « دير ياسين » أقدم اليهود على أفظع الأعمال الوحشية التي عرفها تاريخ العالم الحديث والتي يصفها « چاك دي رينيه » كبير مندوبي هيئة الصليب الأحمر الدولية بقوله :

---

(١) سيرة ابن هشام (٣/١١٤) .

(٢) رجاء جارودي ، فلسطين أرض الرسالات الإلهية ، ص ٣٥٣ .

(٣) الشخصية اليهودية ، ص ١٨٦ .

« لقد ذبح ثلاثمائة شخص بدون أي مبرر عسكري ، أو استفزاز من أي نوع كان ، وكانوا رجالاً متقدمين في السن ونساء وأطفالاً ورضعاً ، اغتيلوا بوحشية بالقنابل اليدوية والمدى التي رأيتها وكانت لاتزال ملطخة بالدماء ، بل إن شابة أرتتى مديتها وهي لاتزال تقطر دماً ، وكأنها علامة على النصر » .

وكان مناحم بيجن رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق زعيماً للمنظمة التي دبرت هذه المجزرة ، ولذلك يقول فخوراً :

« لولا النصر في دير ياسين لما كانت هناك دولة إسرائيل » [1] .

٣ ـ وهناك سجل أسود للمذابح اليهودية ضد الفلسطينيين مثل مذابح [2] :

- ناصر الدين (١٤/٤/١٩٤٨) .
- الكرمل (١٨/٤/١٩٤٨) .
- القبو (١/٥/١٩٤٨) .
- بيت داس (٣/٥/١٩٤٨) .
- سعسع (١٤/٢/١٩٤٨) .
- بيت الخوري (٥/٥/١٩٤٨) .
- الزيتون (٦/٥/١٩٤٨) .
- اللد (يوليو ١٩٤٨) .

٤ ـ وبعد قرار التقسيم :

- مذبحة عور الصافي (٢٥/٩/١٩٥١) .
- مذبحة كفر قاسم (٢٩/١٠/١٩٥٦) .
- مذبحة قبية (١٤/١٠/١٩٥٣) .
- مذبحة قلقيلية (١٠/١٠/١٩٥٦) .
- مذبحة صابرا وشاتيلا في جنوب لبنان ١٩٨٦م .
- اغتيال (أبو جهاد) في تونس ١٩٨٩م .
- محاولة اغتيال ياسر عرفات في تونس ١٩٨٨م .

---

(١) الشخصية اليهودية ، ص ١٧٨ .

(٢) السابق ، ص ١٨٩ .

٥ - المؤامرة على المسجد الأقصى (ثالث المقدسات الإسلامية) :

تمثل القدس والمسجد الأقصى حرمًا من أقدس المقدسات الإسلامية ، إذ يعتبر أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، وكذلك هو معراج رسول الله ﷺ إلى السماء .

وقد استهدف اليهود منذ استتب لهم الأمر في فلسطين تهويد مدينة القدس الإسلامية ، وهدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة لبناء هيكل سليمان على أنقاضه ، وفق تخطيط رهيب ومدروس ، تتابع حلقاته يومًا بعد يوم ، وخطوة وراء خطوة ، وهذا ما تؤكده جريدة « هارتس الإسرائيلية » في عددها الصادر يوم ١٩٨٢/٣/٢٨م والذي جاء فيه بالحرف :

« إن الحكومة الإسرائيلية تختبىء وراء الحركات الدينية المتطرفة لتحقيق أهدافها في نسف قبة الصخرة وإقامة الهيكل الثالث على أنقاضها ، وإن العمليات التي تجرى بهذا الخصوص يجرى ترتيبها بمعرفة حكومة بيجن من أجل إنضاج هذا المخطط » .

كما تؤكد الجريدة في المقالة المذكورة أن مناحم بيجن قد وعد المتدينين لدى تسلمه رئاسة الحكومة الإسرائيلية في مايو ١٩٧٧م بأن يحقق لهم مطلبهم بإقامة الهيكل الثالث على جبل البيت ، وهو الموقع الذي يقوم عليه الحرم القدسي الشريف .

مما دفع الجريدة إلى القطع بأن مسألة هدم المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة قد أصبحت مسألة وقت فقط .

ومن الواضح أن النشاط الإجرامي للحركات الدينية اليهودية قد تصاعد بشكل جنوني منذ مارس ١٩٨٣م ، وعلى رأس هذه المنظمات « حركة أمناء جبل البيت » و « جمعية صندوق جبل البيت » و « حركة كاخ » التي كان يتزعمها الإرهابي « مائير كاهانا » والذي لقى حتفه في قلب أمريكا على يد « سيد نصير » والمستعمرون القاطنون في كريات أربع والذين يتزعمهم الحاخام « إسرائيل ارئيل » والحاخام « موشيه ليفنغر » ، و « منظمة أبناء يهوذا » ، و « مجموعة التنظيم اليهودي السري » .

وقد اتخذت المؤامرة اليهودية ضد المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة أساليب متعددة تهدف في مجملها إلى تخريب هذا الحرم الإسلامي المقدس ، وقطع الارتباط الإسلامي بمدينة القدس التي يمثل المسجد الأقصى حجر الزاوية فيها .

وتراوحت هذه الأساليب بين أعمال الحفر المبكرة حول المسجد من الناحيتين الغربية والجنوبية ، والتي انتهت بامتداد الحفريات إلى الأنفاق أسفل المسجد وبين محاولات التسلل التي لاحصر لها ، والتي تتم بمعدل مرتين أو ثلاثة مرات في الشهر الواحد تحت ستار إقامة الصلاة في المسجد ، في حين أن الهدف الحقيقي هو فرض الأمر الواقع اليهودي على الحرم كما حدث في الحرم الإبراهيمي في الخليل حيث انتهت عمليات الدخول إليه والصلاة فيه إلى تقسيمه بين المسلمين واليهود ، ثم محاصرة أماكن المسلمين والتضييق عليهم فيه تمهيداً لإخراجهم وتهويد الحرم نهائيًا .

وفيما يلي استعراض لأبرز الأساليب التي انتهجتها السلطات اليهودية المحتلة لتهويد الحرم القدسي واستباحته تمهيداً للاستيلاء عليه [1] :

أ - إحراق المسجد الأقصى :

تعد جريمة إحراق المسجد الأقصى أولى المحاولات البارزة لتدمير هذا المكان المقدس وتخريبه :

ففي ٢١/٨/١٩٦٩م أوعزت جهات صهيونية لسائح استرالي من أصل يهودي يدعى « مايكل دينس روهان » بإشعال النار في المسجد الأقصى ، وقد أسفرت هذه الجريمة عن إحراق منبر صلاح الدين بأكمله والسطح الشرقي والجنوبي للمسجد .

وقد اكتفت سلطات الاحتلال باعتقال المجرم وتقديمه إلى محاكمة صورية ادُّعي خلالها أنه مجنون ، وتمت تبرئته على هذا الأساس وأطلق سراحه حيث سافر إلى الخارج لمدة عام عاد بعدها للاستقرار في فلسطين المحتلة .

ومما ينفي عن المجرم المذكور صفة الجنون ويؤكد تدبير السلطات الإسرائيلية لحادث الحريق بل وإصرارها على أن تاتي النار على المسجد بأكمله الأدلة التالية :

١ ـ قطع المياه عن منطقة الحرم فور ظهور الحريق وتتحكم في هذا المياه الجهات الإسرائيلية في بلدية القدس المحتلة .

٢ ـ تأخير وصول سيارات الإطفاء التابعة لبلدية القدس المحتلة وعدم إسهامها في إطفاء الحريق .

---

(١) خليل السواحري ، مجلة شؤون عربية (٤٠) ، ص ٨٣ - ٩٠ .

٣ ـ أن الذي أسهم فعلاً في إخماد الحريق هم المواطنون العرب أبناء القدس ومطافىء بلدتي رام الله والخليل .

٤ ـ تؤكد تقارير المهندسين في لجنة إعمار المسجد الأقصى أن الحريق نشب في أكثر من موضع وأن شخصاً واحداً لم يكن قادراً على القيام بهذا العمل بمفرده مما يؤكد أن أكثر من شخص واحد اشتركوا في جريمة الاحراق .

ب - الحفريات :

كانت الحفريات حول المسجد الأقصى وتحته من الناحيتين الجنوبية أحد الأساليب التي اتبعت لتخريب المسجد الأقصى وتصديع جدرانه وهي تبدو في ظاهرها محاولة للبحث عن بقايا الهيكل المزعوم إلا أنها تهدف في حقيقتها إلى :

١ ـ هدم وإزالة المباني الإسلامية من معاهد ومساجد وأسواق ومساكن ومقابر قائمة فوق منطقة الحفريات وملاصقة أو مجاورة لحائط المبكى وعلى طول امتداده .

٢ ـ الاستيلاء على الحرم الشريف وتخريبه وإنشاء الهيكل في الموقع الذي يقوم عليه حالياً المسجد الأقصى وقبة الصخرة .

وقد بدأت الحفريات الإسرائيلية في القدس في أواخر عام ١٩٦٧ ومرت حتى الآن بتسع مراحل كانت الأخيرة مرحلة النفق الذي يصل ما بين أسفل حائط البراق وأسفل قبة الصخرة ويمتد تحت الحرم القدسي الشريف وقد اكتشفت الأوقاف الإسلامية عمليات الحفر الإسرائيلية في هذا النفق عن طريق الصدفة في ١٩٨١/٨/١٧ ، فأرسلت فريقاً من العمال والفنيين لإغلاق النفق يوم ١٩٨١/٩/٢ إلا أن المتطرفين اليهود تصدوا للفريق واشتبكوا معه مما أدى إلى جرح ثلاثة من العمال العرب .

إزاء ذلك أصدرت الهيئة الإسلامية بياناً دعت فيه إلى إعلان الإضراب العام يوم الخميس ١٩٨١/٩/٣ وفي هذا اليوم تمكنت الهيئة الإسلامية من إغلاق فتحتى النفق .

وتبين من الضجة التي أثارتها أجهزة الإعلام الإسرائيلية حول هذا النفق أن هناك محاولة للإيهام بأنه اكتشاف ينطوي على بعض الدلالات الأثرية التي تخدم أسطورة البحث عن الهيكل المزعوم .

ولكن هذه الادعاءات لا تنطوي في الحقيقة على أية دلالات باعتراف علماء الآثار اليهود أنفسهم فقد صرح « مئير بن دوف » ، أحد علماء الآثار الإسرائيليين بأن العثور

على هذا النفق لا يعد اكتشافًا فالنفق كان معروفًا منذ ١١٠ سنوات عندما اكتشفه الكولونيل البريطاني « تشارلز وارين » وهو جزء من شبكة أقنية مائية أقيمت في عهد الصليبيين ولم تكن هذه الأقنية سرية .

ويفيد التقرير الذي أصدره مهندس أعمال المسجد الأقصى أن النفق أثر إسلامي خالص وهو يمتد من أسفل الحائط الغربي للحرم القدسي في الموقع المسمى بالمطهرة ما بين بابي السلسلة والقطانين باتجاه الشرق مسافة ٢٥ مترًا وبعمق ستة أمتار حتى يصل إلى مقابل سبيل قاتيباي المواجه لقبة الصخرة المشرفة وعلى بعد ٣٠ مترًا منها إلى الجهة الغربية .

وليس الادعاء باكتشاف النفق إلا محاولة لخلق الذرائع لمواصلة أعمال الحفر تحت المسجد الأقصى وقبة الصخرة وهي بحد ذاتها امتداد لأعمال الحفر السابقة التي بدأت منذ عام ١٩٦٧ .

وقد أصدرت الهيئة الإسلامية في القدس بيانًا كشفت فيه النوايا الإسرائيلية المبيتة تجاه المسجد الأقصى وقالت إن هذا النفق كان مغلقًا منذ مئات السنين وأن مجرد العبث بمدخله من السور وفتحه يعتبران اعتداءً خطيرًا على ساحات الحرم ومنشئاته .

ج - المزاعم حول تشابه الحجارة :

زعم فريق الحفر التابع لوزارة الأديان الإسرائيلية أثناء الضجة التي أثيرت في أواخر أغسطس/ آب ١٩٨١ حول النفق الممتد ما بين المطهرة وسبيل قاتيباي أن حجارة النفق هي من نوع حجارة الهيكل وذلك في محاولة للزعم بأن الهيكل كان قائمًا في المكان الذي تقوم عليه حاليًا قبة الصخرة ومثل هذه المزاعم كانت الجهات الإسرائيلية قد حاولت الترويج لها في وقت سابق حين نشرت جريدة الجيرو سالم بوست على صدر صفحاتها الأولى يوم ١٩٨٠/٣/٢١ تحقيقًا زعمت فيه أنه قد عثر على حجارة من العهد الهيرودي في إحدى قباب ساحة الصخرة المشرفة (قبة الرياح) وذلك يدل على حد زعم الصحيفة على أن الهيكل كان قائمًا في نفس المكان .

إن الترويج لمزاعم العثور على حجارة تشابه حجارة الهيكل هو محاولة للتشبث بالأباطيل بعد أن عجزت الحفريات التي استمرت ١٥ عامًا حول المسجد الأقصى وتحته عن الكشف عن أية آثار للهيكل المزعوم .

د - المحاولات المتكررة للصلاة في المسجد الاقصى :

بدأت المحاولات الإسرائيلية لاقتحام المسجد الأقصى وساحاته الخارجية في وقت مبكر فقبل ثلاثة أيام من حريق الأقصى المدبر ١٩٦٩/٨/١٨ قام نفر من الشبان اليهود بالتسلل إلى الحرم القدسي ثم الطواف حول قبة الصخرة وهم يرتلون المزامير والأدعية وبعض فقرات من التوراة .

وفي ١٩٧٣/٨/٧ قام عضو الكنيست الإسرائيلي « بنامين هاليفي » و الحاخام « لويس رابينوفيتش » بالدخول إلى المسجد الأقصى وأداء الصلاة فيه .

وفي مطلع مايو/ آيار ١٩٧٥ قامت مجموعة من الشباب اليهود بالتسلل إلى المسجد الأقصى وأداء الصلاة فيه وقد تصدى لهم حراس الحرم والمواطنون العرب وبعض أفراد الشرطة .

وقد وصلت هذه القضية إلى المحاكم الإسرائيلية بسبب الشكوى التي تقدم بها هؤلاء الشبان ضد رجال الشرطة وأصدرت القاضية الإسرائيلية « روت أور » قراراً بتبرئة هؤلاء الشبان من جريمة انتهاك حرمة الأقصى ووجهت نقداً شديداً لوزارتي الأديان والشرطة الإسرائيليتين لأنهما لم تقوما بإصدار تعليمات تبيح أداء الصلاة في المسجد الأقصى (نص القرار في جريدة الجيرو سالم بوست ١٩٧٦/١/٢٩) .

ثم توالت بعد هذا القرار عمليات انتهاك حرمة المسجد الأقصى ومحاولات الصلاة فيه وسنذكر فيما يلي أبرز هذه المحاولات التي قامت بها المجموعة الصهيونية المتطرفة التي تطلق على نفسها اسم (أمناء جبل البيت) :

١ ـ اقتحمت هذه المجموعة ساحة الحرم القدسي يوم ١٩٨٠/١٠/٣ يرافقها الحاخام « موشيه شيفل » وبعض قادة حركة « هتحيا » المتطرفة وأدوا الصلاة وهم يرفعون العلم الإسرائيلي ويحملون كتب التوراة .

٢ ـ كررت هذه الجماعات عملية الاقتحام وأداء الصلاة دون أن يتعرض لها رجال الشرطة يوم ١٩٨٠/٤/٢٣ .

بعث حاخام حائط المبكى « م غاتس » بمذكرة إلى وزير الأديان الإسرائيلي (هارتس ١٩٨١/٦/٢٥) طالبه فيها بالسماح لليهود بدخول المسجد الأقصى وأداء الصلاة فيه .

ويذكر أن وزارة الأديان الإسرائيلية أصبحت هي المسؤولة عن المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس بموجب القرار الذي أصدرته الحكومة الإسرائيلية بضم القدس في ٢٧ يونية / حزيران ١٩٦٧ .

٤ ـ أصدرت الهيئة الإسلامية في القدس بيانًا في ١٩٨١/٧/٧ نددت فيه بالمحاولات المتكررة التي قام بها أعضاء حركة أمناء جبل البيت اليهودية المتطرفة لإقامة الصلوات في ساحة المسجد الأقصى ونددت بالدعم والتأييد الذي تتلقاه هذه الجماعة من قبل شخصيات سياسية إسرائيلية مسؤولة .

وحذرت الهيئة الإسلامية من مغبة تكرار هذه الاعتداءات وما يمكن أن تجره من أخطار ومضاعفات .

٥ ـ وكان من أعنف هذه المحاولات ما حدث يوم ١٩٨١/٨/٩ الذي يصادف ما يسمى بذكرى خراب الهيكل حيث حاولت مجموعات كبيرة من الشبان اليهود أكثر من مرة ومن عدة أبواب التسلل إلى داخل الحرم القدسي لإقامة الصلاة فيه فقد كسروا باب المغاربة وحطموا قفل الباب وصعدوا إلى بناية التنكرية ولكن المسلمين تصدوا لهم وحالوا دون دخولهم . ولعل الخطورة الكبيرة التي تنطوي عليها المحاولات المتكررة للصلاة في الحرم القدسي أنها تأتي ضمن خطة مرسومة لفرض الأمر الواقع اليهودي في الحرم وذلك على غرار ما حدث في الحرم الإبراهيمي الشريف فمن المعروف أن التواجد اليهودي فيه الذي وصل الآن إلى مرحلة تقسيمه وتحويل جزء كبير منه إلى كنيسة بدأ بزيارات متفرقة لليهود ثم بالصلاة في غير أوقات محددة إلى أن انتهى الأمر بتقسيم الحرم الإبراهيمي ويبدو أن هناك خطة إسرائيلية لتطبيق نفس الأسلوب على الحرم القدسي الشريف .

٦ ـ خلال الفترة من أغسطس/ آب ١٩٨١ وحتى محاولة الاقتحام المسلح للحرم القدسي التي جرت يوم ١٩٨٣/٣/١٠ حدثت محاولات عديدة لاقتحام المسجد والصلاة فيه من قبل المجموعات الدينية المتطرفة التي تنتمي إلى حركة كاخ وحركة أمناء جبل البيت وحركة المخلصين للأقصى وفي بعض الحالات تمكن هؤلاء من الوصول إلى المسجد وأداء الصلاة في ساحاته الخارجية . في هذه الأثناء كانت الصحافة الإسرائيلية توالي في مقالاتها وتعليقاتها المطالبة بالسماح لليهود بأداء الصلاة في المسجد الأقصى

استناداً إلى أن القانون الإسرائيلي المطبق على القدس لا يحول دون ذلك واستناداً إلى قرار المحكمة الإسرائيلية (يناير/ كانون الثاني ١٩٧٦) بتبرئة الشبان اليهود الذين أدوا الصلاة في المسجد الأقصى .

وفي ١٩٨٢/٣/٢ قامت مجموعة من أعضاء ما يسمى بحركة أمناء جبل البيت وعددهم حوالي ١٥ شخصاً مسلحين بالبنادق والسكاكين باقتحام باب السلسلة إلى الحرم القدسي بعد أن اعتدوا على أحد الحراس وطعنوه بالسكاكين ودخلوا إلى المصلى الذي يقع بين باب المغاربة والمسجد الأقصى وحدثت اشتباكات عنيفة بينهم وبين الحراس الذين هرعوا إلى المكان أسفرت عن إخلاء المقتحمين وقد أثار هذا الاعتداء موجة عارمة من السخط في مختلف أنحاء الضفة الغربية وشهدت مدينة القدس إضراباً شاملاً يوم الخميس ١٩٨٢/٣/٤ كما تظاهر المواطنون في نابلس وبير زيت ورام الله .

هـ - الاقتحام المسلح وتفجير الأقصى :

ولم تتوقف المحاولات الصهيونية لتهويد المسجد الأقصى عند هذه الأساليب ولكنها تجاوزتها إلى الإعداد لتفجير الأقصى أو احتلاله بالوسائل العسكرية وكانت أولى المحاولات لتفجير الأقصى الخطة التي وضعها الحاخام « مائير كاهانا » زعيم حركة كاخ وشرع في تنفيذها في مايو/ آيار ١٩٨٠ بحجة الرد على عملية الدبوية التي نفذها رجال المقاومة في الخليل .

فقد عثرت قوات الأمن الإسرائيلية بمحض الصدفة على مخزن كبير للمتفجرات يوم ١٩٨٠/٥/١١ وضعه متطرفون يهود من عصابة كاخ التي يتزعمها « مائير كاهانا » على سطح إحدى المدارس الدينية اليهودية في القدس المحتلة وقد اعتقل الحاخام وعدد من أتباعه من بينهم جنديان بتهمة سرقة أسلحة من مستودعات الجيش الإسرائيلي والإعداد لنسف أماكن مقدسة إسلامية .

ومما يؤكد أن خطط كاهانا كانت تهدف إلى نسف المسجد الأقصى أولاً الخبر الذي نشرته جريدة الجيرو سالم بوست عن اكتشاف مستودع المتفجرات (١٩٨٠/٤/٢٤) وجاء فيه قولها أن هناك عملاً صهيونياً مبيتاً ضد المسجد الأقصى .

ونسبت الجريدة إلى عراف أمريكي يدعى « توني كروديرو » نبوءة قال فيها إن رجال المقاومة العرب سيفجرون الأقصى ويضعون اللوم على إسرائيل .

ويبدو أن اكتشاف مخزن المتفجرات جاء قبل أيام معدودة من ساعة الصفر التي حددها كاهانا لتفجير المسجد الأقصى .

وفي سياق الحديث عن محاولات نسف الأقصى اعتقلت الشرطة الإسرائيلية يوم ١٩٨٢/١/١٥ طالبًا يهوديًا يدعى « مردخاي مندل » (٢٧ عامًا) بعد أن أعلن عن عزمه على إحراق المسجد الأقصى ، ولكن المحكمة الإسرائيلية أطلقت سراحه .

ثم جاء حادث الاقتحام الذي نفذه المسلحون من أتباع كاهانا في الوقت نفسه الذي كان الجندي ايلين جوتمان ينفذ جريمة قتل أحد حراس الأقصى .

وتفاصيل ذلك الحادث كانت كما يلي :

في ١٩٨٤/٤/٨ وضع المتطرفون اليهود قنبلة موقوتة عند بوابة المسجد الأقصى وإلى جانبها رسائل تهديد موجهة إلى مدير الأوقاف الإسلامية في القدس تحمل توقيعات اثنتين من المنظمات الصهيونية المتطرفة وهما « لجنة أمناء جبل البيت » و« حركة كاخ » التي يتزعمها مائير كاهانا بالإضافة إلى توقيع ما يسمى بروابط القرى العميلة .

وتطالب هذه التهديدات التي كتبت بلغة عربية رديئة مجلس الأوقاف الإسلامية في القدس بالتوقف فورًا عن منع اليهود من الدخول إلى المسجد الأقصى لأداء الصلاة فيه وفي حالة عدم الاستجابة يقول التهديد : وإلا فإن النتيجة ستكون قاسية وهي تفجير أقصاكم تفجيرًا كاملاً والصخرة والساحات المجاورة وفي أوقات الصلاة لقتل أكبر عدد من العرب .

وتقول رسالة التهديد الأخرى : من يملك القوة هو الفائز لقد نسقنا خطة تفجير الأقصى وكنيسة القيامة ومسجد عمر بن الخطاب (المقصود قبة الصخرة) مع زعيم حركة غوش أمونيم كهانا وأمناء جبل بيت الهيكل .

وفي يوم ١٩٨٢/٤/١٠ حاولت جماعة من اليهود من أتباع كاهانا ولجنة أمناء البيت الدخول إلى المسجد الأقصى فتصدى لهم الحراس والمواطنون العرب وفي هذه الأثناء قام أحد الجنود الإسرائيليين ويدعى « إيلين جوتمان » باقتحام الحرم القدسي وهو يطلق النار مما أدى إلى قتل اثنين من حراس المسجد وهما محمد اليماني (٥٦ عامًا) وجهاد بدر (٢١ عامًا) ثم واصل إطلاق النيران بشكل عشوائي على المصلين داخل المسجد الأقصى وقبة الصخرة وفي الوقت نفسه كان عدد كبير من الجنود الإسرائيليين

(فرقة مكافحة الإرهاب المستعمرين المسلحين) يقتحمون ساحات المسجد الأقصى ويطلقون النار على المواطنين الذين هرعوا لحماية الأقصى تلبية للنداءات التي انطلقت من المآذن وقد أدت الاشتباكات إلى سقوط ١٢٠ جريحًا وإلى حدوث حرائق في سجاد قبة الصخرة وإلى أضرار مادية جسيمة .

ويتبين من التقرير الذي نشره المهندس المقيم في المسجد الأقصى أن الرصاص الذي أطلقه الجندي الإسرائيلي على الجدران الداخلية لقبة الصخرة أحدث ٨٥ ثقبًا بالإضافة إلى تشققات وتصدعات واسعة في الجدران كما يثبت التقرير أن الجندي الذي قام بالهجوم لم يكن منفردًا فإطلاق الرصاص جاء من عدة اتجاهات وخاصة من الناحيتين الجنوبية والغربية والجنوبية الشرقية (جبل الزيتون ومقبرة اليهود) الأمر الذي يشير إلى التنسيق والإعداد المسبقين لهذا الاعتداء ويتبين من الاعترافات التي أدلى بها الجندي الإسرائيلي الذي قام بالاقتحام أنه كان يهدف إلى الاستيلاء على المسجد بقوة السلاح وقتل أكبر عدد ممكن من المصلين فيه ، وقال إنه وجه تحذيرات للسياح الأجانب ممن كانوا داخل قبة الصخرة باللغتين العبرية والإنكليزية في حين أطلق الرصاص على المصلين بقصد القتل .

ويتبين أن عدد الرصاصات التي أطلقها أثناء هذه العملية داخل المسجد وخارجه بلغت أكثر من ١٨٠ رصاصة .

وقد أصدرت الهيئة الإسلامية العليا في القدس بيانًا شرحت فيه أبعاد المؤامرة على المسجد الأقصى ومراحلها ودعت المواطنين في الأرض المحتلة إلى إعلان الإضراب العام لمدة أسبوع اعتبارًا من يوم الاثنين الموافق ١٩٨٢/٤/١٣ احتجاجًا على الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على الحرم القدسي .

وقد بلغ عدد الشهداء الذين سقطوا خلال أحداث الاعتداء الأخير على الحرم القدسي وأيام الاضراب تسعة شهداء أما الجرحى فقد بلغ عددهم ١٣٦ جريحًا في الضفة الغربية وقطاع غزة .

و - محاولة احتلال الأقصى :

ثم جاءت المحاولة المسلحة لاحتلال المسجد الأقصى والاستيطان فيه أو إقامة كنيسة بالقوة على ساحته الداخلية ، وكان المستعمرون المزودون بالأسلحة والمتفجرات

والذين بدأو اقتحام المسجد الأقصى عبر النفق السري الذي كشفت عنه الحفريات الجنوبية ينوون الوصول إلى ساحات المسجد الأقصى حيث يعلنون العصيان المسلح في داخله ويقيمون على حد ما ورد في اعترافاتهم نواة استيطانية ومركزاً يهودياً مسلحاً في داخل الحرم القدسي .

ولعل هذه المحاولة التي جرت ليلة ١١/٣/١٩٨٣ أن تكون أخطر المحاولات جميعاً لا لأنها كشفت بوضوح عن أهدافها ولكن لأن وراءها تنظيمات تدعمها بالمال والسلاح وتخطط لإنجاح مهماتها ومن بين هذه التنظيمات بالإضافة إلى حركة كاخ وأتباع كوشيه ليفنغر حركة أمناء البيت وصندوق جبل البيت وهما حركتان متطرفتان تهدفان كما هو معلن إلى إقامة الهيكل اليهودي على أنقاض المسجد الأقصى المبارك .

وقد تبين أن الحركة الأخيرة صندوق جبل البيت تتلقى الدعم المالي والمعنوي من فرعها الرئيسي في ولاية كاليفورنيا الأمريكية عدا الدعم الذي تقدمه لها الحركات الصهيونية المتطرفة في فلسطين المحتلة من أمثال حركة هتحيا وحزب العودة .

ز - محاولة إدخال المتفجرات :

ليلة الجمعة الموافق ٢٧/١/١٩٨٤ قامت مجموعة يهودية مسلحة بمحاولة لاقتحام الحرم القدسي من الناحية الشرقية بالقرب من باب الرحمة . وقد نصبوا السلالم من الحبال وبدأوا بمحاولة الصعود ، إلا أن حراس المسجد اكتشفوا أمرهم قبل أن يتمكنوا من الصعود ، فلاذوا بالفرار تاركين وراءهم قنابل يهودية وحزماً من المتفجرات وبعض الأمتعة .

وقد تبين من التحقيقات التي أجرتها الشرطة الإسرائيلية ونشرت الصحف جانباً منها فيما بعد ، أن أفراد هذه المجموعة ينتمون إلى جماعة دينية متطرفة تطلق على نفسها اسم أبناء يهوذا وتتخذ من خرائب قرية لفتا العربية مقراً لها ، ومن بين أعضائها الذين نشرت الصحف أسماءهم (الشعب المقدسية ٢٣/٣/١٩٨٤) يهودا ليامي (٣١ عاماً) وعوزي محسيا هعليون (٤٦ عاماً) .

وقد اعترف يوسف بورغ وزير الداخلية والشرطة الإسرائيلية في جلسة الحكومة الإسرائيلية يوم ٢٩/١/١٩٨٤ أن كل القنابل والمتفجرات التي عثر عليها لدى المجموعة اليهودية هي من صنع الجيش الإسرائيلي . ومن بين النتائج الوخيمة التي أسفرت عنها

هذه المحاولات إدخال وحدة حراسة من الشرطة الإسرائيلية إلى الساحات الداخلية للحرم الشريف بعد أن كانت هذه الوحدة تتمركز خارجه وقد اضطرت الهيئة الإسلامية والأوقاف للقبول بذلك حتى لا تكون مجبرة للرضوخ لخطة المراقبة الإلكترونية التي اقترحتها الشرطة الإسرائيلية والتي من شأنها في حالة تنفيذها وضع الحرم القدسي كله تحت الرقابة والهيمنة الإسرائيلية المطلقة .

إلا أن تطوراً لاحقاً قد حدث بصدد وحدة الشرطة الإسرائيلية داخل الحرم ، وبدلاً من أن تستجيب الحكومة الإسرائيلية لطلبات الهيئة الإسلامية والمسلمين بسحبها من الحرم ، قرر قائد الوحدة رفع العلم الإسرائيلي على مقر الوحدة داخل الحرم .

إلا أن رفع العلم على مقر الوحدة أثار موجة من السخط في أوساط المواطنين العرب وأسفرت الاحتجاجات في هذا الصدد إلى قرار اتخذه وزير الداخلية بإنزال العلم يوم ١٩٨٤/٨/٢ ، ولكن يوسف بورغ لم يلبث أن تراجع عن هذا القرار في وقت لاحق حيث أمر بإعادة رفع العلم على مقر الوحدة يوم ١٩٨٤/٨/٢٦ زاعماً أن هذا الموضوع لا أهمية له .

وبعد فإن من الأهمية بمكان إعطاء التصريحات التي كان يدلي بها بين الحين والحين الحاخام العنصري مائير كاهانا ما تستحقه من اهتمام ، ذلك لأن التهديدات باقتحام الأقصى والصلاة فيه هو وعصابته قد أصبحت من السهل تنفيذها بعد ما أصبح المذكور عضواً في الكنيست يتمتع بالحصانة التي تحول دون اعتقاله والتعرض له .

وتجدر الإشارة إلى التهديدات التي أطلقها يوم ١٩٨٤/٨/٢ أي بعد فترة وجيزة من دخوله الكنيست وجاء فيه أنه ينوي اقتحام الأقصى والصلاة فيه . وقد عقبت جريدة هارتس الإسرائيلية على ذلك بالدعوة إلى إعادة النظر في نظام الحصانة في الكنيست كما حذر الشيخ سعد الدين العلمي من أن دماء كثيرة ستسفك إذا حاول الحاخام كاهانا تنفيذ تهديداته . وهو ما حدث بالفعل في محاولة اقتحام المسجد الأخيرة والتي راح ضحيتها أكثر من سبعين من شهداء المسلمين .

وهكذا تزداد يوماً بعد يوم الأخطار التي تتهدد الأقصى فازدياد التطرف في الكيان الصهيوني من شأنه أن يؤجج الحماس المسعور لهدم الأقصى وإقامة ما يسمى الهيكل الثالث على أنقاضه .

وقد امتدت قذائف التطرف اليهودي لتشمل العالم الإسلامي خارج فلسطين المحتلة :

ففي عام ١٩٦٧م اعتدت إسرائيل على مصر وسوريا والأردن في حرب الأيام الستة ، التي استولت فيها على الضفة الغربية لنهر الأردن والجولان وسيناء .

وفي عام ١٩٨٢م احتلت القوات الإسرائيلية الجنوب اللبناني وسحقت الفلسطينيين واللبنانيين وطردتهم ، وشكلت ما يسمى بالحزام الأمني تمهيداً لتحويل مياه الليطاني إلى إسرائيل .

ثم امتدت يد التطرف اليهودي لتصل إلى العراق فتغتال الدكتور المشد في باريس وتضرب المفاعل النووي العراقي ، ثم لتضرب مقر الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في تونس . وتغتال (أبو جهاد) الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية ومهندس الانتفاضة الباسلة .

* * *

قائمة المصادر والمراجع

اولا : القرآن الكريم

ثانيـــا : السنة النبوية

- سنن أبي داود .
- سنن ابن ماجة .
- صحيح البخاري .
- صحيح مسلم .

ثالثـــا : الكتاب المقدس

- العهد الجديد (نسخة البروتستانت) .
- العهد القديم (نسخة البروتستانت) .

رابعـــا : المعاجم والقواميس

- لسان العرب / ابن منظور ـ دار المعارف . القاهرة .
- المورد / منير البعلبكي / الطبعة ١٤ .

خامسا : الدوريات

- الأمة (كتاب) العدد (٢) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف .
- شؤون عربية (مجلة) تصدرها جامعة الدول العربية / العدد (٤٠) .
- عالم المعرفة (كتاب) الشخصية اليهودية / العدد (١٠٢) .
- العربي (كتاب) العدد (١٤) .

سادسا : مصادر عامة

- إسرائيل والتلمود / إبراهيم خليل أحمد . دار المنار . القاهرة ١٩٩٠م .
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان / ابن القيم بتحقيق حامد الفقي . القاهرة . بدون ترقيم .
- إفحام اليهود/ السموأل بن يحيى المغربي بتحقيق الدكتور محمد الشرقاوي دار الهداية . القاهرة . الطبعة الأولى ١٩٨٦ .

- الله / العقاد
- الإيمان / د. محمد عبد الله الشرقاوي ـ مكتبة الزهراء . القاهرة . الطبعة الأولى ١٩٨٩م .
- التراث الإسرائيلي/ د. صابر طعيمة ـ دار صادر . بيروت . الطبعة الأولى
- تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ـ المكتبة التوفيقية . مصر . بدون ترقيم .
- التلمود / ظفر الإسلام خان ـ دار النفائس . بيروت . الطبعة السادسة ١٩٨٥م .
- التلمود كتاب إسرائيل الأسود / د. محمد عبد الله الشرقاوي ـ مكتبة الوعي الإسلامي . القاهرة . بدون ترقيم .
- الدين المقارن / د. محمد كمال جعفر .
- رسالة في اللاهوت والسياسة / سبينوزا ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . القاهرة ١٩٧١م .
- الرسالة القبرصية / ابن تيمية ـ مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٧٩م .
- فضح التلمود / الأب آي . بي . برانايتس ـ دار النفائس . بيروت ١٩٨٣م.
- فلسطين أرض الرسالات الإلهية / جارودي ـ دار التراث . القاهرة . الطبعة الأولى .
- قصة الحضارة / ول ديورانت ـ الجزء الثاني . طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر . مصر .
- الكنز المرصود في فضح التلمود / أوجست روهلنج ـ ضمن كتاب التلمود كتاب إسرائيل الأسود للدكتور محمد الشرقاوي .
- محاكمة يسوع المسيح / فرانك ج باول ـ لجنة النشر للثقافة القبطية (الكتاب الثاني) . القاهرة .
- مقارنة الأديان / د. محمد عبد الله الشرقاوي ـ دار الهداية . مصر . الطبعة الأولى ١٩٨٦م .
- منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى / عبد الراضي محمد ـ مكتبة التوعية الإسلامية . القاهرة ١٩٩١م .

- نظرات حديثة في الكتاب المقدس / هري أمرسن - الكنيسة الإنجيلية . بيروت ١٩٨٠م .
- نفاق اليهود / مارتن لوثر - دار الفكر . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٧٤م .
- اليهود تاريخ وعقيدة / د. كامل سعفان - دار الاعتصام . مصر . بدون ترقيم .
- اليهودية / د. أحمد شلبي - مكتبة النهضية المصرية . الطبعة الثالثة ١٩٧٣م .

فهرس

أعمال أخرى للمؤلف

أ - مطبوعات :

١ ـ منهج أهل السنة أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى ـ مكتبة التوعية الإسلامية ـ القاهرة ١٩٩١م .

٢ ـ نزهة الحفاظ للحشافظ أبي موسى المديني (تحقيق ودراسة) ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ١٩٨٦م .

ب - قيد الطبع :

١ ـ التطرف الديني في المسيحية .

٢ ـ موقف الإسلام من التطرف .

٣ ـ اختلاف مالك والشافعي ـ للإمام الشافعي (تحقيق ودراسة) .

جـ - بحوث ومقالات :

١ ـ نظرات في الدعوة الإسلامية ـ مجلة الأمة القطرية (العدد ٧٢) أغسطس ١٩٨٦م .

٢ ـ الإسلام والأديان ـ مجلة الرابطة (العدد ٢٧٣) نوفمبر ١٩٨٧م .
و (العدد ٢٧٩) نوفمبر ١٩٨٧م .

٣ ـ ظاهرة التطرف الديني في بني إسرائيل ـ مجلة الفيصل (العدد ١٣٤) أبريل ١٩٨٨م .

٤ ـ التصور اليهودي لقضية التوحيد ـ مجلة الفيصل (العدد ١٤٢) ديسمبر ١٩٨٨م.

٥ ـ مواقف خالدة في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ المجلة العربية (العدد ١٢٣) ديسمبر ١٩٨٧م .

٦ ـ مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ـ المجلة العربية للعلوم الإنسانية (العدد ٢٧) المجلد السابع ١٩٨٧م .